متن أرجوزة

عمدة الطلب

بنظم منهج التلقي والأدب

نظم الفقير إلى عفو ربه

عبد الله بن محمد سفيان الحكمي

قرأه وقرظه

شيخنا العلامة

عبد الله بن عبد العزيز العقيل

رئيس اللجنة الدائمة لمجلس القضاء الأعلى سابقا

وشيخنا العلامة

محمد سالم بن عبد الودود الشنقيطي

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

ورئيس القضاة بموريتانيا سابقا

رحمه الله تعالى

قدم له

معالي الدكتور الفقيه

صالح بن عبد الله بن حميد

عضو هيئة كبار العلماء ورئيس مجلس القضاء الأعلى

وإمام وخطيب المسجد الحرام

ومعالي الدكتور الفقيه

عبد الله المطلق

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة

الدائمة للإفتاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحكميّ ، عبد الله محمد سفيان

متن أُرْجُوزة عُدَّة الطلب بنظم منهج التلقي والأدب .

عبدالله محمد سفيان الحكميّ - الرياض ، ١٤٣١هـ

١٢٦ ص ، ..سم

ردمك : ٦-٤٧٢٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الاسلام والعلم ٢- الآداب الإسلامية - شعر أ . العنوان

ديوي ٢١٩.٧ ١٤٣١/٢٥٢١

رقم الإيداع : ١٤٣١/٢٥٢١

ردمك : ٦-٤٧٢٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولىٰ

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

تَـقْـرِيـظٌ

بقلم شيخنا العلامة المحقق، الجامع بين علوم العقل والنقل، الشيخ المرابط:
محمد سالم بن محمد علي بن عبدالودود الملقب بـ«عَـدُّود» الهاشمي الشنقيطي (*)
رحمه الله تعالى، وذلك بعد أن عُرِضت عليه في صيف عام ١٤٢٦هـ.

كَمْ مِن يَـدٍ لِلْحَكَمِي لَـدَيَّ لَـمَّـا تُشْكَمِ (١)

سَـيَّـرَ لِي أُرْجُـوزَةً كَـالـنُّـورِ فَـوْقَ الأَكَـمِ (٢)

كَانَتْ لَـهُ مَخْجُوزَةً لَـمْ يَسْبِهَا قَبْلُ كَمِي (٣)

بِـ«عُدَّةِ الطَّـلَـبِ» قَـدْ نَظَـمَ شَمْـلَ الحِكَـمِ

(*) عقدتُ له ترجمة موجزة في الحاشية على هذه الأرجوزة «إِسْعَافِ ذَوِي الأَرَبِ ...» ص (١٤٠-١٤١) وراجع مقدمة «الْمُوَثَّـقِ مِنْ عُمْدَةِ الْمُوَفَّقِ» ص (١٩) وما بعدها.

(١) لَمَّا تُشْكَم: لـمَّا تُـجزَ، من شَكَمَه يشكُمُه شُكماً - بضم الشين - أي جزاه.
راجع «مختار الصحاح»: ص (٣٤٥ - ش ك م).
وفي حديث مرسل أخرجه الشافعيّ في مسنده برقم (١٥١٨) بإسناده عن طاووس مرفوعًا قال: احتَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ لِلْحَجَّامِ: «اشكُمُوهُ» أي: أعطوه أجره.

(٢) الأكَمِ: جمع إكام، والإكام: جمع أَكَمَة، وهي الرَّابِيَة، كما في «النهاية»: ص (٤٥ - أكم).
ويطلق - كما في «اللسان» (١٢/ ٢١ - أكم) على كل ما أشرف من الأرض وارتفع.

(٣) كَمِي: الكَمِيّ، هو الشجاع، سُمِّي به؛ لأنه يتكمّى في السلاح، أي يتغطّى به.
راجع «العين» ص (٨٥٤ - كمي).

مَا الْبِيضُ[1] فِي رَوْضِ الْحِمَىٰ ..... كَبَيْضِهَا الْمُرَكَّمِ

كَمْ أَبْرَدَتْ مِن نَظْمِ تَعْـ.....ـلِيمٍ بَدِيعٍ مُحْكَمِ

فَصَارَ مُنذُ بَرَزَتْ ..... مَن يَنتَشِقْهُ يُزْكَمِ[2]

تُصْمِي[3] الْمُعَارِضَ لَهَا ..... بِصَمَمٍ وَبَكَمِ

فَاللهُ يَجْزِيهِ جَزَا.....ءً لَا يُكَالُ بِكَمِ[4]

---

(١) البِيض : وصف لمحذوف ، أي الإبل أو النوق البيض .

(٢) أجد حرجًا شديدًا من شرح المراد من هذين البيتين ، ولكن لكثرة السؤال عن ذلك أقول : مراد شيخي رفع الله مقامه : أن هذه الأرجوزة لما برزت ، أي : ظهرت للوجود أبردت كل ما سبقها من النظم المحكم في هذا الباب ، فصار من ينتشق هذا النظم يصيبه الزكام ، وهذا من الاستعارات البلاغية التي تحتاج إلى تأمّل ، والمعنى أن هذه الأرجُوزة فاقت ما سبقها من المنظومات في آداب طالب العلم ، ولعل سبب ذلك أن المنظومات في هذا الباب - حسب اطلاعي القاصر - قليلة موجزة كمنظومة اللؤلؤيّ وأجمع ما وقفت عليه ((المنظومة الميميّة)) على بحر البسيط لشيخ مشايخنا الشيخ العلاّمة حافظ بن أحمد الحكميّ رحمه الله ، وتقع في نحو خمسين ومائتي بيت ، وقد طبعت مرات. ولم أقتصر في هذه الأرجُوزة على الآداب وحدها ، فقد ضممت إليها ما يتعلق بالمنهجية في الطلب ، وشروطه ، وعوائقه ، وغير ذلك ، لهذا طالت نسبيًا بسبب طول أصلها أولاً ، وبما أضيف إليها من الأبواب ثانيًا .

(٣) تُصمي : أصل ((أصمى)) من أصمى فلان الصيد : إذا رماه فقتله مكانه .
راجع ((معجم مقاييس اللغة)) : ص (٥٥٢) .
والمعنى : أن هذه الأرجُوزة تصيب المعارض لها بما ذكره الشيخ ، رحمه الله تعالى .

(٤) أي : لا يُكال بقدر معيّن ، أسأل الله أن يستجيب دعاءه ، ويكرم نزله .

بسم الله الرحمن الرحيم

كم من يدٍ للمرتجي لديَّ لمّا تُشْكَم

سيّري أُرجوزةً كالنور فوق الأكم

كانت لسلو معجوزة لم ينشيها قبلُ نجي

بغتةً الطلب قد نظم شمل اليتم

ما النبيض في روض الهلا كبيضها المرتكم

كم ابردت من نظم تعـ........ـليم بديع محكم

فصار منذ برزت من ينتشقه يزكم

تحيي الشعار ضربا بحكم وبكم

فالله يجزيه جزا ءً لا يحال بكم ؟



صورة التقريظ بخط يده رحمه الله تعالىٰ.

تـقـديــم

بقلم شيخنا العلّامة الفقيه الشيخ : عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل العقيل .

الحمدلله وحـده ، وأصلّي وأسلّم على عبده ورسوله محمد وآلـه وصحـبه وبعد : فقد اطّلعتُ على هـذه الأُرجُـوزة المفيدة : ((عُدَّةِ الطَّلَبِ بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَـقِّي وَالأَدَبِ)) تأليف فضيلة الشيخ : عبدالله بن محمد سفيان الحكـميّ فألفـيتها أُرجُـوزة وجـيزة من السهل الممتنع ، كـما قال العلّامة السفَّارِينيُّ :

تَـرُوقُ لِلسَّمْعِ وَتَشْفِي مِن ظَمَا

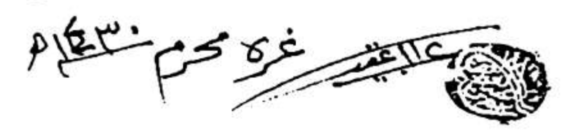
وقد حوت من النصائح والوصايا والتنبيهات ما يحتاجـه الطالب المبتدي ولا يستغني عنه الراغب المنتهي ، عَمِلَهَا عَمَـلَ مَن طَبَّ لِمَنْ حَبَّ ، تحقيقات علمية ، وتدقـيقات لغوية ، وتحريات تخريجية ، ومخبرها أوفى من منظرها ، وقد أعجِبتُ بها ، وحاولت أن أحـفظها أو بعضها ، ولهـذا أوصي إخواني وأبنائي بها حـفظاً ، ودراسة ، وشرحًا ، وتعليقًا ، واستشهادًا ، فهي الضالة المنشودة ، والدُّرّة المفقودة ، وقد ضَمّنها دُرَرًا من أراجـيز من سبقه ، كـالعلّامة اللُّؤْلُئِيّ في نظمه المشهور ، والزبيديّ صاحب القاموس ، والـهلاليّ المالـكيّ ، وغيرهـم ، ولا سيما ما اشتملت عليه من فضل العلم والعلماء ، ومنهج طلب العلم ، والحـث على الحفظ الذي أهـمله بعضهم ، والتحذير من عوائـق الطلب .

واستشهد بعدد من الأحاديث والآثـار ، وقد أوصيته بطبعها ونشرها ونـقلها على الكـاسيت ، ليسهل تـناولـها ، وتـبادلـها ، ولـعل الله أن يـنفـع بـها كـما أوصيتـه أن يشـرحـها شـرحـًا مختـصـرًا ، يَـفُـكُّ رمـوزهـا

ويستخرج كنوزها، ويترجم للأعلام المذكورين فيها وبالله التوفيق.

وكتبه الفقير إلى الله: عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل حامدًا لله ومصليًا مسلمًا على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

رئيس اللجنة الدائمة لمجلس القضاء الأعلى سابقًا



بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل

التاريخ ١/١/١٤٣٠

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وبعد:

فقد اطلعت على هذه الأرجوزة المفيدة: [عدة الطلب لمنهج التلقي والأدب] تأليف فضيلة الشيخ: عبد الله بن محمد سفيان الحكمي فألفيتها أرجوزة وجيزة من السهل الممتنع، كما قال العلامة السفاريني:

تروق للسمع وتشفي من ظما

وقد حوت من النصائح والوصايا والتنبيهات ما يحتاجه الطالب المبتدي ولا يستغني عنه الراغب المنتهي، عملها عمل مَن طبَّ لمن حَبَّ، تحقيقات علمية وتدقيقات لغوية وتحريات تخريجية، ومخبرها أوفى من منظرها، وقد أعجبت بها، وحاولت أن أحفظها أو بعضها، ولهذا أوصي إخواني وأبنائي بها حفظا ودراسة وشرحا وتعليقا واستشهادا، فهي الضالة المنشودة، والدرة المفقودة، وقد ضمنها دررا من أراجيز من سبقه؛ كالعلامة اللؤلؤي في نظمه المشهور، والزبيدي صاحب القاموس، والهلالي المالكي، وغيرهم، ولاسيما ما اشتملت عليه من فضل العلم والعلماء ومنهج طلب العلم، والحث على الحفظ الذي أهمله بعضهم، والتحذير من عوائق الطلب. واستشهد بعدد من الأحاديث والآثار، وقد أوصيته بطبعها ونشرها ونقلها على الكاسيت؛ ليسهل تناولها وتبادلها، لعل الله أن ينفع بها، كما أوصيته أن يشرحها شرحا مختصرا، يفك رموزها، ويستخرج كنوزها، ويترجم للأعلام المذكورين فيها. وبالله التوفيق. وكتبه الفقير إلى الله: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل حامدا لله، مصليا مسلما على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

عبد الله العقيل غرة محرم ١٤٣٠هـ

الرياض - ص . ب ٩٤٦٩١ - الرمز البريدي ١١٦١٤ - المملكة العربية السعودية - هاتف ٤٨٢٣١٠٣ - فاكس ٤٨٢٧٠١٢

تقديم

بقلم معالي الشيخ الفقيه الدكتور: صالح بن عبدالله بن حُمَيْد

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه .

وبعد : فقد اطلعت على أرجوزة «عُدَّةِ الطَّلَبِ بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالْأَدَبِ» من نظم أخينا الشيخ عبدالله بن محمد سفيان الحكمي ، فوجدتها أرجوزة نافعة لطلاب العلم ، وأحسن ما يميزها أنه ضمنها قرابة ١٠٠ بيت من نظم طائفة من العلماء السابقين كاللؤلئي والهلالي والزبيدي وغيرهم ، وهذا النظم مفرق في طائفة من تصانيف أهل العلم ، فاجتمع في هذه الأُرْجُوزة .

أسأل الله تعالى أن ينفع بها الناشئين في طلب العلم ، وأن يثيب الشيخ عبدالله على ما بذله من جهد ، وصلى الله وسلم على خير خلقه ، وعلى آله وصحبه .

وكتبه

صالح بن عبد الله بن حُمَيْد

عضو هيئة كبار العلماء

ورئيس مجلس القضاء الأعلى

وإمام وخطيب المسجد الحرام.

تـقـديـم

بقلم معالي الشيخ الفقيه الدكتور: عبدالله بن محمد المطلق.

الحمدلله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على خير خلقه، وعلى آله وصحبه.

وبعد: فقد اطلعت على الأرْجُوزة التي نظمها أخونا الشيخ عبدالله بن محمد سفيان الحكمي، وقد سماها «عُدَّةَ الطَّلَبِ بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالأَدَبِ» وهي أرجوزة تجمع بين الشمول، وسلاسة الأسلوب ووضوح المعاني، تناول فيها فضل العلم وأهله، والمنهج العلمي الذي جرى عليه أسلافنا حيث بيّن أنه منهج قائم على أسس متينه، وشروط متممة لهذه الأسس، وركّز بوجه خاص على أهمية الحفظ الذي فرّط فيه الكثير من طلاب العلم في هذا الزمن مع أنه من أهم الوسائل العلمية لطلب العلم.

ثم عرّج على أهم الآداب التي يحسن أن يتحلى بها طالب العلم في نفسه، ومع شيوخه وأقرانه، وكذلك آداب المعلم في نفسه ومع طلابه، وانتهى إلى ذكر عوائق الطلب التي تعترض طريق طالب العلم ليحاول تجنبها والتغلب عليها.

ولا ريب أن هذه الأُرْجُوزة تسهم في رسم المنهج الصحيح الذي ينبغي أن يسير عليه طلّاب العلم حتى يسلموا من الجنوح إلى الغُلُوّ الذي وقع فيه بعض الشباب اليوم، وترتب عليه كثير من الخلل.

ومما يزيد الانتفاع بهذه المنظومة أن تُسجّل في شريط مسموع كي يرغب الطلاب في الإقبال على سماعها، وهو أمر حرص عليه الناظم في

سلسلته التي يقوم بتحقيقها وإخراجها، ولا ريب أن تسجيل هذه المتون العلمية أنفع لطلاب العلم من الإسراف في سماع الأناشيد العاطفية.

وإنني أدعو طلاب العلم إلى العناية بهذه الأرجوزة ومدارستها، والوقوف عند الأحاديث والآثار وأخبار العلماء التي وردت فيها، والتخلق بما ذُكِر فيها من آداب ووصايا.

أسأل الله تعالى أن يبارك في جهود الشيخ عبدالله الحكمي، ويسبغ عليها ثوب القبول، ويرزقنا جميعًا الإخلاص في القول والعمل، إنه خير مسؤول.

وصلى الله وسلم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة نبينا وقدوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه.

عبدالله بن محمد المطلق

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

والمستشار بالديوان الملكي.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

مُقَدِّمَةُ النَّاظِمِ

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على المفرد العَلَم، المبعوث إلى الجن والإنس عربهم والعجم، وعلى آله وصحبه أولي المكارم والفضائل والشيم، وعلى من اتبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم يُحشَر الأمم.

وبعد: فإن ما نراه اليوم في حياة المسلمين من الجهل بأحكام الشرع ومقاصده وظهور الغُلُوّ في الدين لدى بعض أفرادهم يرجع ذلك في معظمه إلى غياب المنهجيّة الصحيحة في طلب العلم الشرعيّ ومعرفة آدابه.

ولعل الحاجة إلى التركيز على هذه المنهجية الصحيحة في هذه الفترة الزمنية أشد، وذلك لأن عدم الأخذ عن العلماء العاملين، وصحبتهم، والتأدُّب بآدابهم أوقع طوائف من طلّاب العلم في كثير من الشطط والتنطُّع، والغُلُوّ في الأحكام على المسلمين ونواياهم، وتجهيل أهل العلم وتنصيب أنفسهم بديلاً عنهم.

ولقد كان موضوع المنهجية في الطلب أمرًا يشغل بالي كثيرًا، وكنت أتلمس هذه المنهجية من خلال حضور الدروس العلمية المنهجية، ومطالعة الكتب التي صُنِّفت في فضل العلم، والأخذ عن الشيوخ، وفضل الحفظ، والعناية بالطلب في الصغر، ومعرفة آدابه، وعلى مدار عقد ونصف حاولت جمع أهم أسس التحصيل العلميّ في فترات متباعدة، فاجتمع لديّ عام ١٤١٤ هـ سبعة أسس ثم أضفت إليها أسسًا أخرى كلما سنحت الفرصة، إلى أن بلغت هذه الأسس

في صيف عام ١٤٢٤هـ ستة عشر أساسًا، وفي صيف العام نفسه شاركت في عقد دروس علمية في علم مصطلح الحديث، وجعلت الحديث في الدرسين الأولين عن المبادئ العشرة التي ينبغي على كل طالب علم أن يعرفها قبل الشروع في أيِّ علم من العلوم.

وبَدَهِيٌّ أن أتناول موضوع أسس التحصيل العلميِّ وشروطه من خلال الحديث عن هذه المبادئ العشرة.

واقتداءً بالعلماء في نظم المسائل العلمية؛ ليسهل حفظها واستيعابها، نظمت هذه الأسس، وأضفت إليها نظم أهم شروط التحصيل العلميِّ فبلغت ثلاثة وستين ومائة بيت وتوقفت عند هذا الحد، وفي منتصف عام ١٤٢٥هـ يسر الله لي مقابلة شيخنا العلّامة الشيخ محمد سالم رحمه الله تعالى في مكة في فترة حضوره جلسات مؤتمر المجمع الفقهيِّ التابع لرابطة العالم الإسلاميِّ، فقرأت عليه هذا المقدار الذي ذكرته آنفًا، فاستحسنه وشجّعني وحفز همّتي، فعمِدت إلى كتاب «تذكرة السامع والمتكلِّم في آداب العالِم والمتعلِّم» للإمام ابن جماعة الكنانيِّ رحمه الله تعالى لشموله، وحسن ترتيبه وإيجازه، فنظمت جُلّ ما يتعلق بآداب الطالب والمعلِّم، والآداب المشتركة بينهما، والآداب المتعلقة بالكتب، ثم أضفت فصولاً رأيت أهميتها في فضل العلم وثمرات العلم الشرعيِّ، وتقسيم العلوم، وأفردت فصلًا في الحفظ وبيان أنه أهم أسس التحصيل العلميِّ، وآخر في شروطه، وختمت هذه الأُرجُوزة بفصل في أهم عوائق الطلب، فارتكزت هذه الأُرجُوزة على مقدِّمة وبابين رئيسين، واشتمل كل باب على خمسة فصول، ثم خاتمة.

ولستَ -يا طالب العلم- في حاجة إلىٰ الإطالة عليك بذكر عناوين فصولها وما يحويه كل فصل من المسائل، فهي بين يديك، والمحتوىٰ يغني عن ذٰلك.

وبعد أن منّ الله عليّ بإتمامها بعثت بها إلىٰ شيخي العلّامة الجليل الشيخ محمد سالم رحمه الله تعالىٰ، ورغبت إليه ملحًا أن يطلع عليها ويقوّم ما اعوجّ منها مع علمي سلفاً بكثرة أعباء الشيخ، وأن ما ينوء به من الأعمال العلمية وغيرها لا يسوغ معه إشغاله بأعمال أخرىٰ.

والذي جرّأني علىٰ هٰذا الطلب أمران:

أولهما-أنني أعدّ نفسي واحدًا من تلاميذ هذا العَلَم-وإن كنت لم أثْنِ ركبتيّ في محضرته العامرة- فقد أفدت من علمه مسائل علمية متنوعة، واهتبلت كل فرصة سنحت لي بالالتقاء به أو مهاتفته، وكم من معضلة علمية لم أجد الإجابة عليها في الكتب وجدت حلّها عنده، أجزل الله مثوبته، وبرّد مضجعه، وأعلىٰ منزلته.

ثانيهما-أنني مارست نظم الشعر في سن الصِّبا، ثم صرفت هٰذه الموهبة للنظم العلميّ، إلا في أحوال لا بد أن أستجيب فيها لداعي الشعر وبواعثه.

والنظم العلميّ أنفع لطالب العلم في نظر كثير من العلماء، تُقَيَّد به شوارد المسائل مما لم يجده الناظم منظومًا من قبل، وتُضْبَط به أكثر القواعد العلمية.

ومن هٰذه الأمور التي احتجت أن أنظمها لنفسي ولطلّاب العلم الناشئين في الطلب أسس التحصيل العلمي، وشروطه، ثم رأيت أن أضيف إلىٰ ذٰلك أهم ما تضمنه كتاب «تذكرة السامع والمتكلِّم...» - كما أسلفت - وأبحاثًا أخرىٰ رأيت أن أضيفها إلىٰ عِقدها، بعد أن وجدت التشجيع من شيخي، كما تقدم.

ومن طبيعتي أني لا أعُدّ أيّ عمل علميّ أنتهي من إعداده موثوقاً به ونافعًا لطلاب العلم حتى يُزَكّى من قِبل بعض من أثق بهم من أهل العلم.

ولما كان شيخنا أمهر من عرفت بهذه الصناعة، بعثت بهذه الأُرجُوزة إليه -كما تقدم آنفًا- مع الزميل الفاضل الشيخ محمد بن أحمد جذّو حيث عرضها -أثابه الله تعالى- عليه كاملة في صيف عام ١٤٢٦هـ، إلّا أبياتًا يسيرة زدتها بعد ذلك، ثم عرضتها عليه في زيارته الأخيرة أوائل عام ١٤٢٧هـ حينما شارك في جلسات المجمع الفقهيّ التابع لرابطة العالم الإسلاميّ وأقرّها، وقد انتفعت بتصويباته، وأثبتها في مواضعها، وهي وإن كانت يسيرة إلّا أنها عظيمة النفع.

أما الأبيات المزيدة التي بلغت (٧٥) بيتًا فلم أنته من نظمها إلا بعد وفاته رحمه الله تعالى، غير أن توجيهاته، والعيوب التي كان يتجنبها في النظم ماثلة أمامي.

وإليك -يا طالب العلم- تصويبات شيخنا لتعرف الدقة، وانتقاء اللفظ المناسب، وحضور البديهة عنده، واستيعاب جلّ مفردات اللغة.

الموضع الأول: قولي في الفصل الأول في البيت رقم (٥٦) ص (٤٤):

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَتَى فَلْتَدْرِيَهْ   مُتَّفَقًا عَلَيهِ عَنْ مُعَاوِيَهْ

وهو مستقيم من حيث المعنى، غير أن فيه سنادًا، اقتضى معه أن يؤتى بكلمة فيها ألف التأسيس فجعل مكان «فَلْتَدْرِيَهْ» قوله: «يَا بَاغِيَهْ» أي: يا مُرِيدَه.

الموضع الثاني: قولي في البيت رقم (٧٩) ص (٤٦):

حَيْثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي   أُمَامَةَ الحَبْرِ الأَبِيِّ الأَغْلَبِ

وحينما سمع الشيخ هذا البيت علّق عليه بأن لفظ «الأَغْلَبِ» وصف للأسد

وليس من أسمائه، ومعناه: غليظ الرقبة، ولا يصلح أن يوصف به الإنسان لا سيما إذا كان صحابيًا، فجعل مكانه: «الْـقَيْسِيُّ صَاحِـبِ النَّبِي».

ولعلي أعجبت بجمال الألفاظ، فعدلت عن الاستعمال الصحيح جهلاً مني به.

الموضع الثالث: قولي في البيت رقم (٢٠٩) ص (٥٥) عن أهمية النظم:

وَهْوَ لِطُلَّابِ الْعُلُـومِ أَنفَعُ وَلِلْـفَوَائِـدِ الْحِسَانِ يَجْمَعُ

أشار عليَّ بإبدالها بلفظ «أَجْمَعُ» حتى تكون أفعل تفضيل مثل «أَنفَعُ» في آخر المصراع الأول، وهذا من قبيل المقابلة.

الموضع الرابع: قولي في البيت رقم (٤٨٧) ص (٧٥):

وَلْتَثْنِ رُكْبَتَيْكَ فِي الْمَسَاجِدِ مُلَازِمًا لِكُلِّ شَيْخٍ مَاجِدِ

أشار عليَّ رحمه الله تعالى بجعل «مُثَافِنًا» مكان «مُلَازِمًا» والمُثافنة هي المجالسة والملازمة، يقال ثافنه فهو مثافن، وثافنت على الشيء واظبت ففي اللفظ زيادة في المعنى كما ترى.

الموضع الخامس: قولي في البيت رقم (٨١٤) ص (٩٨):

وَزِينَةُ الْـعَالِـمِ فِي التَّوَاضُعِ وَلَيسَ فِي الـزَّهْـوِ وَلَا التَّصَنُّعِ

وهذا فيه سناد كما تقدم، فلفظ «التَّوَاضُعِ» فيه ألف التأسيس بخلاف «التَّصَنُّعِ» فلم تدخله هذه الألف، فقال الشيخ في بداية الأمر: الأفضل أن يُصْلَح، فقمت بإصلاحه، ثم جاءني بعد ذلك إصلاح الشيخ فأثبتُّه؛ لأنه أبلغ بكثير، وهو قوله رحمه الله تعالى: «فَالزَّهْوُ وَالْعِلْمُ ذَوَا تَدَافُعِ».

وهناك بضع كلمات أبدلها الشيخ بأحسن منها، وأخرى كان ضبطي لها مخالفًا

للضبط الصحيح، وحفظتها في الصبا على هذا النحو الخاطئ، وهي خمس كلمات أحببت إيرادها ليستفيد مِن ذلك مَنْ حَفِظَها مثلي مخطئًا في ضبطها:

١) كلمة «هِجْران» التي وردت في آخر المصراع الأول من البيت رقم (٣٣١) ص (٦٣) فقد كنت أنطقها بضم الهاء.

٢) كلمة «وَاغمِدْ» الواردة في أول المصراع الثاني من البيت رقم (٤٤٥) ص (٧٩) فقد كنت أنطقها بفتح الميم.

٣) كلمة «نَفْرَة» الواردة في آخر المصراع الثاني من البيت رقم (٥٨٩) ص (٨٩) فقد كنت أنطقها بضم النون تأثراً باللهجة الدارجة.

٤) كلمة «تَشْغَلُ» و «يَشْغَل» الواردتين في أول المصراع الأول من البيت رقم (٧٠٦) وفي المصراع الثاني من البيت رقم (٧٠٧) ص (٩١) فقد كنت أنطقهما بضم التاء والياء وكسر الغين، لأنني سمعتهما بهذا الضبط في صِباي وبقي هذه السنين الطويلة.

٥) كلمة «تَزْهَر» الواردة في آخر المصراع الثاني من البيت رقم (٩٤٣) ص (١٠٨) فقد كنت أنطقها بضم التاء وكسر الهاء، وهذا الضبط كسابقيه مما حفظته في الصِّبا وبقي دون تصحيح، إلى أن صححه لي شيخي أكرم الله نزله.

ولقد شرّفني غاية التشريف بثنائه على هذه الأُرْجُوزة، حيث قرّظها بعد أن تمت قراءتها عليه بأبيات تكتب بماء العيون وغمرني بما لا أستحق من العطف والتشجيع والتكريم.

وكانت كتابته لهذا التقريظ فورية، كما حدثني بذلك الشيخ محمد جدُّو.

حقائق تتعلق بهٰذه الأُرجُوزة شكلًا ومضمونًا

أولاً : أن بحر الرَّجَز تدخله بعض الضرورات التي لا يمكن التحرز منها وهي قسمان ؛ ما هو سائغ عند نقاد الشعر ، وما ليس سائغًا .

وقد تجنّبت بفضل الله وعونه هٰذه الضرورات إلّا في مواضع يسيرة حصل فيها ما يعرف بـ« مُزْدَوِج الزِّحاف » والذي يسمّىٰ في بحر الرَّجَز بـ« الخَبْل » وهو إسقاط ثانيه ورابعه الساكنين ، فيصبح « مُسْتَفْعِلُنْ » « مُتَعِلُنْ » أي ؛ تتوالىٰ فيه أربع حركات ، تنقل بعد ذٰلك إلىٰ « فَعَلَتُنْ » .

والخَبْل يضطر إليه الناظم في مواضع ، أهمها ؛ حرص الناظم علىٰ التقيّد بلفظ وارد في حديث من الأحاديث ، أو اختيار لفظ ليس له بديل أو أحسن منه وقد حصل لي في هٰذه الأُرجُوزة مواضع يسيرة ، أوردها علىٰ النحو الآتي ؛

١) قولي في المصراع الأول من البيت رقم (٧٠) ص (٤٥) ناظمًا حديث ؛ « مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا ... » الحديث ؛

وَفِيهِ مَن سَلَكَ دَرْبًا يَطْلُبُ الْعِلْمَ فِيهِ فَضْلُهُ لَا يَعْزُبُ

حيث يلحظ البصير بالنظم دخول الخَبْل في المصراع الأول من البيت ، بسبب إبقائي لفظ « مَن سَلَكَ » كما هو في الحديث ، وبإمكاني التخلص منه بإبدال « سَلَكَ » بـ « يَسْلُكُ » باعتبار « مَنْ » أداة غير شرطية ، لٰكنه يذهب بجمال سياق الحديث وبهائه .

٢) قولي في المصراع الأول من البيت رقم (٢٠٠) ص (٥٥) ؛

وَهٰذِهِ الأُسُسُ سِتَّةَ عَشَرْ .... البيت .

والأُسس جمع أساس، ويمكن أن أقول: «وهذه الآسَاسُ ...» وأتخلص بذلك من الخَبْل، لكن الآساس جمع أسُس، وهو المقصور من لفظ «أساس» ويمكن أن أجعل مكان «أسُس» «إسَاس» وهو جمع «أسّ» ولم أستملح هذا فكان لا بد من إثبات لفظ «الأسس» لوضوحها وشهرتها، وقد تكررّ هذا الاستعمال في المصراع الأول من البيت رقم (٢٠٤) ص (٥٥) والمصراع الأول من البيت رقم (٢٢٢) ص (٥٦).

٣) قولي في المصراع الأول من البيت رقم (٤٧٨) ص (٧٤):

مَن دَخَلَ الـكُتُبَ وَحْدَهُ خَرَجْ مِنْهَا ...» البيت.

ويمكن أن أجعل مكان «الكتب» «الأسفار» وبذلك أعالج مشكلة الخَبْل لكنني لا بد أن أتقيد بإيراد هذا اللفظ؛ لأنه ورد في القول المرويّ عن الشافعيّ رحمه الله تعالى، والأولى في نظم النصوص أن يتقيد الناظم بألفاظها قدر الإمكان.

٤) قولي في المصراع الأول من البيت رقم (٥٩٧) ص (٨٣):

وَاحْـذَرْ مِنَ الْعَبَثِ بِالثِّيَابِ ...» البيت.

ولا يحضرني لفظ أنسب من لفظ «العبث» في هذا الموضع، فكان لا بد من التقيّد به.

هذه هي المواضع التي حصل لي فيها الخبل في كلمتين.

وسبب استثقال الخبل نسبيًا وروده في كلمتين كما في الأمثلة السابقة.

أما إذا ورد في كلمة واحدة؛ فإنه لا يكاد يُدرك، بل لا يدركه إلا بصير بالنظم.

وقد حصل لي ذلك في مواضع يسيرة.

منها : ما جاء في أوّل مصراعي البيت رقم (٦٠) ص (٤٥) :

وَمَثَلُ الْفَـقِيهِ كَالأَرْضِ الَّتِي قَبِلَتِ الْمَا ...)) البيت .

وفي كلمة ((ثَـمَرَتُهْ)) في آخر البيت رقـم (٢١٦) ص (٥٦) وفي لفظ ((فَحَفِظَهْ)) في آخر المصراع الأول من البيت رقم (٣٠٠) ص (٦١) .

وفي أول المصراع الأول من البيت رقم (٤٤١) ص (٧٣) وفيه :

((وَبِـعُلُوِّ الْهِمَّـةِ اتَّصِفْ ...)) .

وفي كلمة ((وَنُـقِلَا)) في آخر المصراع الثاني من البيت رقم (٤٩١) ص (٧٥) :

فَإِنَّـهُ إِن تُـعْطِـهِ كُـلَّكَ لَا يُـعْطِيكَ إِلَّا بَعْضَهُ ، وَنُـقِلَا

وفي أول المصراع الأول من البيت رقم (٦٥٨) ص (٨٧) :

((فَبِصَلَاحِ الْقَلْبِ يَصْلُحُ الْجَسَدْ)) .

وفي أول المصراع الأول من البيت رقم (٨٠٧) ص (٩٧) :

(بِـ ((عَمَلِ الْيَوْمِ مَعَ اللَّيْلَةِ)) قَدْ سُمِّيَ عِنْدَ السَّالِفِينَ ...) البيت .

وهـٰذا يدلنا دلالة واضحة علىٰ أن الخبل ليس علىٰ درجة واحدة ، بل إن الأخفش ـ سعيد بن مسعدة ـ يرىٰ أنه سائغ في بحر الرّجز فقال في ((كتاب العروض)) ص (١٤٩) ط : الفيصلية : (فـ ((فَعَلَـتُنْ)) فـيـه أحسن منه في البسيط والسريع ، لأن الرُّجّـاز يستعملونه كثيراً ، وإنما وضعوه للحُدَاء ، والحُدَاء غناء ، وهم وكلامهم إذا كـانوا في عمل أو سَوْق إبل ، فالحذف مما يكثر في كلامهم أخف عليهم ، قال :

((هَلَّا سَأَلْتِ طَلَلاً وَحُمَمَا)) وقال :

((قَدْ جَـبَـرَ الدِّينَ الْإِلَـٰـهُ فَجَبَرْ)) فلم يقبُح) انـتـهىٰ ما أردت نقله .

وفي تقديمي لمتن «المُوَثَّقِ مِنْ عُمْدَةِ المُوَفَّقِ» ص (٥٣ - ٥٧) لشيخنا العلامة الشيخ محمد سالم رحمه الله تعالىٰ، ذكرت نماذج لطائفة من أكبر الشعراء قديمًا وحديثًا، وقعوا جميعًا في الخبل، مما يدل علىٰ تعذر السلامة منه، ولا سيما في النظم العلمي.

وأظن أن الذين شدَّدوا في أمره لم يمارسوه في بحر الرَّجَز، فقاسوه علىٰ دخوله في بحور أخرىٰ، ولا ريب أن دخوله في البسيط والمنسرح قبيح، كما في كتب الفن.

ومع هٰذا فيحسن بالناظم أن يتجنب الوقوع فيه قدر الإمكان، ولا سيما إذا كان في كلمتين، مع أن الاضطرار إليه محتَّم علىٰ كل شاعر.

ومن الضرورات التي تقع في بحر الرَّجَز: «السِّنَاد» وهو يقع في القافية، والسِّنَاد إذ كان من قبيل تناوب الضمة مع الكسرة ونحو ذٰلك، فهو كثير في شعر العرب ولا يرىٰ سعيد بن مسعدة - الأخفش الأوسط - هٰذا من قبيل السِّنَاد.

وما دام أنَّ ألِف التأسيس مفصولة عن حرف الرَّويِّ بأكثر من حرف فالأمر فيه يسير.

ومثل هٰذا مما يضطر إليه الناظم - كما تقدم غير مرة - ولله دَرُّ إمام هٰذه الصنعة الخليل بن أحمد الفَراهيديّ، رحمه الله حين قال في «العين» ص (٢٦):

«والتَّأسيسُ في الشِّعْر ألِفٌ تلزم القافية، وبينَها وبين أحْرُف الرَّوِيِّ حرف يجوز رفعه وكسره ونصبه، نحو مَفاعِلنْ فلو جاء مثل «محمد» في قافية لم يكن فيه تأسيس حتىٰ يكون نحو «مجاهد» فالألف تأسيسُه».

إلىٰ أن قال: «وهو عيبٌ في الشِّعر غير أنَّه رُبَّما اضطُرَّ إليه، وأحسن

ما يكون ذلك إذا كان الحرفُ الذي بعد الألف مفتوحًا ؛ لأن فتحته تغلب على فتحة الألف[1]، كأنها تُزال من الوهم، كما قال العجّاج :

مُبَارَكٌ لِلأَنْبِيَاءِ خَاتَمُ مُعَلِّمٌ آيَ الْهُدَى مُعَلَّمُ

فلو قال ((خَاتِم)) بكسر التاء لم يَحْسُنْ)) انتهى ما أردتُ نقله.

والإشكال إنما هو في تأسيس لفظ ((خَاتَم)) دون ((مُعَلَّم)).

والخَبْل والسِّنَاد - سوى سناد التأسيس - وما شابهها ضرورات يتعذر تجنبها في الشعر عامة، وفي النظم العلمي على وجه الخصوص، وقد اعتذر شيخنا العلامة المرابط محمد سالم عنهما وعن غيرهما من الضرورات السائغة عند صيارفة النظم فقال رحمه الله تعالى في مقدمة ((الْمُوَثَّقِ مِنْ عُمْدَةِ الْمُوَفَّقِ)) ص (٧٠ - ٧١) :

مُعْتَذِرًا مِمَّا يَجُسُّ النُّبَهَا مِنَ الْبُرُودَةِ لِنَظْمِ الْفُقَهَا

لِمَا مِنَ التَّضْمِينِ فِي الْقَوَافِي يَحْوِي ، وَمِن مُزْدَوِجِ الزِّحَافِ

وَمِن سِنَادٍ ، وَتَدَاخُلٍ بِأَنْ يَلْزَ مِصْرَاعَيْنِ لَفْظٌ بِقَرَنْ

وَمِن دُخُولِ ((أَلْ)) عَلَى مَا أُفْرِدَا لَفْظًا مِنَ الَّذِي يُضَافُ أَبَدَا

وَقَصْرٍ اَوْ نَقْلٍ ، وَحَذْفِ حَرْفِ عَطْفٍ ، وَصَرْفِ عَادِمٍ لِلصَّرْفِ

وَالْوَقْفِ مِن قَبْلِ التَّمَامِ ((كَعَمَلْ بِرٍّ يَزِينُ وَلْيُقَسْ مَا لَمْ يُقَلْ))

والأُرْجُوزة في مجملها من النظم السلس، وقد أثنى عليها - والحمد لله تعالى - طائفة من الشعراء وأهل البيان، ولولا أن ذكر أسمائهم من دوافع حظ النفس

---

(١) لم يتبين لي مراده بقوله : ((فتحة الألف)).

لذكرتهم، وحسبي تزكية شيخي وشيخ أشياخ البيان في زماننا الشيخ محمد سالم ابن عَدُّود، رحمه الله تعالى.

ولست هنا في مقام الفخر والزَّهْو - عياذاً بالله تعالى - وإنما في مقام إظهار بعض ما أنعم الله به عليَّ، وإن ما أعلمه من نفسي من نقص وعِيٍّ لا يحملني على التفكير في الاعتداد بالنفس، وحالي بمشيئة الله تعالى هو الإصرار على السير إليه مع العُرَج والمكاسير، وأنا من أشدِّهم، وأسأله تعالى أن يجبر الكسر ويستر العيب.

ولم تخل الأُرْجُوزة من الطرفة والنكات المضحكة على تعلّق الشباب الشديد ببعض المآكل والمشارب والملابس، وليس كل الشباب معنيين بهذه التوجيهات، وإنما هي موجهة لطلاب العلم خاصة.

ولم أتكلف الألفاظ التي وردت فيها - والتي يبدو في بعضها غرابة - فقد كانت تُوَاتِيني طوعًا - ولله الحمد - لأن هذه الألفاظ رسخت في الذاكرة أيام الصِّبا، وهي الأيام التي كنت أعنى فيها بقراءة الشعر، وحفظ ما تيسر منه.

أمور تميزت بها هذه الأُرْجُوزة:

تميزت هذه الأُرْجُوزة بفضل الله تعالى ببعض المزايا، منها:

١) أنني أدخلت في فصولها مقاطع من نظم السابقين تقارب ١٠٠ بيت، مما وقفت عليه من بحر الرَّجَز، وحلّيتها به تحلية السيف بالجواهر، وقد جمعتها من مصادر مختلفة بعضها عن طريق البحث، وبعضها الآخر بواسطة السماع في مجالس أهل العلم، أو سماع الأشرطة السمعية.

وقد فرّقْتُ هذه المقاطع الرَّجَزِيّة في مواضع عدة حسب مواضيعها المتنوعة.

وأشهرها أرجُوزة اللُّؤلُئِي، فقد أوردتها مفرقـة في خمسة مواضع، وهناك مقاطع أخرىٰ لعدد من الأعلام، أثبتّ كل مقطع في موضعه المناسب، وهي: للهلالي والزبـيدي، وابن مُتّالي، وشيخـنا المرابط، ووالـده محمد علي بن عبد الودود رحـمـ الله الجميع، وهناك أبيات وأشطر أوردتها ليست منسوبة إلىٰ قائليها.

٢) اشتمال هـٰذه الأُرجُوزة علىٰ طائـفة من الأحـاديث، والآثار، والأقوال والقواعد العامة التي ترتبط بآداب الطلب، والمنهجية فيه، وغير ذٰلك.

ولعل نظرة عجلىٰ في المسارد العامة تتبيّن بها هـٰذه الحقيقة.

وأودّ في هـٰذه العجالة أن أذكـر طائـفة من الأمثلة.

منها: ما أكرمني الله بإيراد الشاهد منه في النظم بلفظه دون تصرف، ومنها: ما تصرفت فيه تصرفًا يسيرًا، لأن إيراد ألفاظها كما هي متعذر.

فمن الأمثلة التي استطعت إيراد الشواهد الحديثية والآثار والأقوال فيها بألفاظها دون تصرف، ما جاء في الأبـيات ذوات الأرقام (٥٥) و(٨٣) و(٢٩٦) و(٢٩٨) و(٣١٥) و(٤٧٨) و(٦٥٥) و(٨٧١) و(٨٧٢) و(٩٣٠) و(٩٣١) و(٩٩٨) وصفحاتها علىٰ التوالي: (٤٤) و(٤٦) و(٦١) و(٦٢) و(٧٤) و(٨٧) و(١٠٢) و(١٠٦) و(١١١).

وأبدأ بالأحـاديث المرفوعة، فقد اشتملت الأبـيات (٥٥) و(٨٣) و(٢٩٦) و(٢٩٨) علىٰ أطراف أحاديث بألفاظها.

وإليكـها مرتبة حسب ورودها في أبواب هـٰذه الأُرجُـوزة:

أَصَـحُّـهَـا «مَن يُـرِدِ اللهُ بِـهِ خَيْـرًا يُفَـقِّهْهُ...» فَسِرْ فِي دَرْبِـهِ

ص (٤٤)

وَ«طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ» وَرَدْ عَنْ عَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ
أَفْرَدَهُ الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ فِي جُزْءٍ لَهُ بِجُلِّ طُرْقِهِ يَفِي
ص (٤٦)
فَقَالَ فِيهِ «نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنِّي» مَا أَقُولُ وَرَأَى
أَنَّ مِنَ الوَاجِبِ أَنْ يُبَلِّغَهْ لِغَيْرِهِ كَمَا وَعَى، فَبَلِّغَهْ
وَ«رَحِمَ اللهُ امْرَءًا» قَدْ ثَبَتَا عَنِ ابْنِ ثَابِتٍ صَرِيحًا، وَأَتَى
ذَلِكَ فِي سِفْرِ ابْنِ حِبَّانَ كَمَا حَوَاهُ «الإِحْسَانُ» بِتَرْتِيبٍ سَمَا
ص (٦١)
فَـ«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» كَمَا أَتَى فِي كُتُبِ الأَثْبَاتِ
ص (٨٧)

واشتملت الأبيات ذوات الأرقام (٣١٥) و (٤٧٨) و (٩٣١) و (٩٩٨) والواردة في الصفحات (٦٢) و (٧٤) و (١٠٦) و (١١١) على طائفة من الآثار والأقوال بألفاظها دون تصرف فيها، وها هي مرتبة حسب ورودها في أبواب هذه الأرجوزة:

«لَا نَكْتُبُ العِلْمَ وَلَا نُكْتِبُهُ» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، كَذَا يَنْسِبُهُ
إِلَى ابْنِ صَخْرٍ حَافِظِ الإِسْلَامِ بَعْضٌ مِنَ الأَئِمَّةِ الأَعْلَامِ

★ ★ ★

مَنْ دَخَلَ الكُتُبَ وَحْدَهُ خَرَجْ مِنْهَا - وُقِيتَ - وَحْدَهُ كَمَا وَلَجْ

★ ★ ★

كَذَلِكَ الأُبُوَّةُ الدِّينِيَّةْ أَقْوَى مِنَ الأُبُوَّةِ الطِّينِيَّةْ

كَـذَاكَ قَالُوا : ((إِنَّمَا يُشْكَلُ مَا   يُشْكِـلُ)) وَهْوَ مَسْلَكٌ قَدْ عُلِمَا

★ ★ ★

ومن الأمثلة ما يكون فيه تصرف يسير في إيـراد الشاهد بحيث يكون موزّعًا في البيت أو البيتين، مع استعمال واو العطف والتـقيد بألفاظـه، أو الفصل بين جُمَلِهِ بكلمة واحدة من أجل إتمام البيت، أو إيراد الشاهد بلفظه مع زيادة ألف الإطلاق.

فمن النصوص التي أوردتها موزّعـة مع المحافظة على ألفاظها ما ورد في البيتين (٢٨١) و(٢٨٢) ص (٦٠) :

أَلْـفَاظُـهُ كَـمَا أَتَتْ مَرْوِيَّـهْ   بِـالنَّصِّ ((إِنَّـا أُمَّــةٌ أُمِّـيَّـهْ))

أَتْـبَعَهَا بِقَوْلِـهِ : ((لَا نَكْـتُبُ))   وَبَعْدَ وَاوِ الْعَطْفِ جَا ((لَا نَحْسُبُ))

وكذلك ما ورد في البيتين (٨٧١) و(٨٧٢) ص (١٠٢) :

وَ((جُـنَّـةُ الْعَالِمِ لَا أَدْرِي إِذَا   أَغْفَلَهَا)) عَنْ مَالِكٍ هَـٰذَا خُـذَا

وَبِـ ((أُصِيبَتْ)) بَعْدَهَا ((مَقَاتِلُهْ))   يَـتِمُّ هَـٰذَا الْقَوْلُ، طَابَ قَائِلُهْ

ومما ورد فيه الفصل بكلمة واحدة من أجل إتمام البيت ما ورد في البيت رقـم (٩٣٠) ص (١٠٦) :

لِـذَلِكُمْ كَـانَ أَبُـو الْإِفَادَهْ   أَقْـوَىٰ وَأَسْمَىٰ مِنْ أَبِي الْوِلَادَهْ

فكلمة ((أسمىٰ)) لا بـد منها لإتمام البيت، وهي ليست من الحشو، إذ لا يمكن إيـراد هـٰذا القول في تـقديري إلا بها.

والمحافظة على النص قَـدْرَ الإمكـان أمرٌ قَلَّ من يلتزم به.

ومن الأمثلة على إيـراد الشاهـد أو النص بلفظه مع زيـادة ألف الإطلاق إذا

وردت كلمة منه في قافية المصراع، الأبيات ذوات الأرقام (٣١٣) ص (٦٢) و (٣٨٧) و (٣٨٨) ص (٦٧) و (٤٨١) ص (٧٥) :

وما هي مسرودة حسب ورودها في الأُرجُوزة :

وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ مَالِكٍ وَرَدْ ... فِي الدَّارِمِيِّ إِذْ بِهِ صَحَّ السَّنَدْ

عَنْهُ، وَزَادَ قَوْلَهُ : لَن نَجْعَلَا ... ذَٰلِكَ قُرْآنًا ، وَهَٰذَا نُقِلَا

★ ★ ★

لِذَٰلِكُمْ مَنْ حَفِظَ الْمُتُونَا ... حَازَ - وَبِالشَّرَفِ - الْفُنُونَا

كَذَٰلِكُمْ مَنْ حَفِظَ الْأُصُولَا ... فَإِنَّهُ قَدْ ضَمِنَ الْوُصُولَا

★ ★ ★

فَإِنَّمَا « التَّصْحِيفُ قُفْلٌ ضُلَّا ... مِفْتَاحُهُ» وَيْحَ الَّذِي أَضَلَّا

★ ★ ★

٣) العناية قدر الطاقة بالتوثيق، وذٰلك بعزو الأحاديث والآثار والأقوال من خلال النظم، مع الإشارة إلىٰ درجة الحديث أو الأثر ما استطعت إلىٰ ذٰلك سبيلًا وما لم يتيسر لي توثيقه في النظم بينته في حاشية « إِسْعَافِ ذَوِي الْأَرَبِ بِكَشْفِ اللِّثَامِ عَنْ عُدَّةِ الطَّلَبِ » وهي مطبوعة كما أسلفت.

٤) العناية قدر الإمكان بحسن الإخراج، كتمييز الآيات الكريمة التي اقتبستها في متن الأُرجُوزة باللون الأخضر، وميزت بهٰذا اللون أيضاً بعض العناوين و الكلمات والخطوط، وما شا كلها.

وأمّا الأحاديث التي اقتبستها والآثار والأقوال التي أوردتها فيها فقد ميزتها

باللّون الأزرق، فإذا كان الجزء الذي اقتبسته بالنص، فإنني أضعه بين قوسين مزدوجين، وإن كان بالمعنىٰ فإنني أكتفي بتلوينه باللّون الأزرق فقط.

وأمّا اللّون الأحمر فميّزت به الأبيات المزيدة علىٰ الأُرجُوزة، والأعلام وأسماء الكتب، وبعض العناوين، وعلامة النقل، وهي رأس الصاد «صـ» وبعض ألفات الإطلاق، ونحوها.

ومن الأمور التي أودّ التنبيه عليها وضع نُقط بين مصراعي البيت المدمج للربط بينهما، والأبيات التي حصل فيها إدماج أو تداخل قليلة، عددها أربعة، وهي ذوات الأرقام: (٦١) و(٢١٩) و(٤٦٥) و(١٠١٤) والواردة في الصفحات التالية: (٤٥) و(٥٦) و(٧٤) و(١١٩).

ومن مظاهر العناية بالإخراج جمال الحرف، وحسن التنسيق في الطباعة والالتزام بعلامات الترقيم، وغير ذٰلك من الأمور الظاهرة.

وهناك تحسينات لا يمكن الحديث عنها، يدركها من له حظ من الذوق الفنيّ.

والعمل البشريّ مهما بُذل فيه من جُهد لا يسلم من الخلل والتقصير، وحسبي أنني بذلت قُصارىٰ جهدي مستعينًا بالله جَلّ وعلا، ومراعيًا الدقة قدر الإمكان.

★ ★ ★

أُرجُوزَةُ «عُدَّةِ الطَّلَبِ...» في ثَوْبِهَا الجَدِيد.

أمران مهمان يميّزان الطبعة الثانية لِـ«أُرجُوزَةِ عُدَّةِ الطَّلَبِ»:

الأمر الأول: زيادة (٧٥) بيتًا في عِدّة مواضع، وقد اشتملت هٰذه الأبيات علىٰ أقوال وحكم نافعة، وقواعد مهمة جامعة، يحتاج إليها طلّاب العلم.

وكثير من هـذه الأقوال والقـواعد الواردة في هـذه الأبيات المزيدة أوردها العلّامة الشيخ بكر أبو زيـد رحمه الله تعالى، في كـتابه «لطائف الكلم في العلم» ضمن مجموعته «النظائر» ثم ضممت إليها طائـفة من الأقـوال، والحكـم والقواعد التي تصيّدتها من بطون الكتب، أو سمعتها من أفواه أهل العلم في دروسهم وتتبعتها في المصادر المتنوعة، وقد خرجتها ووثـقتـها قـدر الإمكان في حاشية «إسعَافِ ذَوِي الأَرَبِ بِكَشْفِ اللُّثَامِ عَنْ عُدَّةِ الطَّلَبِ» كـما تـقدم ذكـر ذلك آنـفًا.

وهـذه الأبـيات موزعة في هـذه الطبعة طبق الأرقام والصفحات التالية:

أولاً - البيت رقم (١٩٨) ص (٥٥).

ثانـيًا - البيت رقم (٢٦٢) ص (٥٩).

ثالـثًا - الأبيات من (٢٦٤-٢٧٣) ص (٥٩).

رابـعًا - الأبيات من (٣٥٨ - ٣٦١) ومن (٣٦٣ - ٣٦٥) ص (٤٥-٤٦).

خـامسًا - الأبيات (٣٨٢) و(٣٨٤-٣٨٦) ص (٤٧).

سادسًا - الأبيات من (٣٩٢ - ٣٩٩) ص (٤٧-٤٨).

سابـعًا - الأبيات (٤٥٥) و(٤٥٦) و(٤٥٩) و(٤٦٣) ص (٧٣).

ثامـنًا - الأبيات من (٤٨١ - ٤٨٦) ص (٧٥).

تاسـعًا - الأبيات (٧١٨) و(٧١٩) و(٧٢٤) و(٧٢٥) ص (٩١-٩٢).

عاشرًا - البيتان (٨٧١) و(٨٧٢) ص (١٠٢).

الحادي عشر - البيتان (٩٣٠) و(٩٣١) ص (١٠٦).

الثاني عشر - البيتان (٩٦٩) و(٩٧٠) ص (١٠٩).

الثالث عشر - الأبيات (٩٨٧) و(٩٨٩ - ٩٩٨) ص (١١١).

الرابع عشر - الأبيات من (١٠٢٩ - ١٠٣١) ص (١١٣).

الخامس عشر - الأبيات من (١٠٦٥ - ١٠٧٣) ص (١١٦).

وإيراد هـٰذه الأبيات الزوائد في هـٰذه المواضع تكثير للصفحات دون كبير فائدة، فمن أراد الوقوف عليها فليراجعها في مواضعها مستدلاً علىٰ مظانها بأرقام الأبيات والصفحات المذكورة آنفًا.

وقد أوردت بعضها في الكلام علىٰ ما تتميز به الأُرجُوزة من تضمُّن كثير من أبياتها لطائفة من الأحاديث، والآثار، والأقوال، والقواعد العامة.

الأمر الثاني: أنني أصلحت في هـٰذه الطبعة كل بيت وقع فيه سناد التأسيس بفضل الله تعالىٰ وعونه، إلا بيتًا واحدًا، وهو البيت رقم (٨٨٣) ص (١٠٢) ونصه:

مِن طَلَبِ الْعِلْمِ كَمَا قَدْ أَكْرَمَا   بِذَاكَ مِن قَبْلُ أَبَانَا آدَمَا

وذلك لأن اسم «آدم» أصله «أأدم» لأنه أفعل - كما في «تاج العروس» (١٦/١١ - آدم) - نقلاً عن الجوهري، فمن قرأ لفظ «آدمَا» في آخر المصراع الثاني بهمزتين تجنب السناد الواقع فيه، وفي الإمكان تغيير البيت، لـٰكنني أبقيته حفاظًا علىٰ المعنىٰ الذي يدل عليه، وتغييره يتطلب تغيير البيت الذي قبله.

وهناك تعديلات متفرقة يلحظها من سمع الأُرجُوزة، أو قرأها بعد صدورها مسجلة ومطبوعة بحجم الجيب.

وإني لأبتهل إلىٰ الله عز وجل الذي منّ عليّ بنظم هـٰذه الأُرجُوزة، أن يضاعف

النفع بها، وأن يتجاوز عما فيها وفي سائر أعمالي من خلل ونقص، فذلك شأني وشأن كل طالب علم مهما أوتي من العلم.

فإذا وجدت - أيها الأخ الناصح - خللاً، ولا بد منه، فابعثه عبر البريد المثبت في آخر هذا التقديم، وستلقى مني القبول والدعاء، وما وجدته فيها من نفع فادع لناظمها ولراقمها بالتسديد والإخلاص والسلامة من حظوظ النفس ونوازعها.

وقبل أن أضع القلم لا بد من إظهار الامتنان بشكر الله تعالى، فله الحمد أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وإليه يرجع الأمر كله، ومن شكر الله تعالى شُكر أهل الفضل، والذين يستحقون الشكر والدعاء مني كثير، وفي مقدمتهم شيخنا العلّامة المرابط الشيخ محمد سالم (*) رحمه الله تعالى فإنه أكرمني بعطفه، وأفدت من علمه الغزير في هذه السنوات الأخيرة، ومن فضائله عليّ - وما أكثرها - سماعه لهذه الأُرجُوزة «عُدَّةِ الطَّلَبِ ...» بتمامها إلا ما زدته بعد ذلك من زيادات يسيرة ولقد أفدت من تصويباته وتعليقاته، ثم توّجني بعد ذلك بتاج الفخار حين قرّظها بتقريظه البديع.

والشكر والدعاء موصولان لشيخنا العلّامة الفقيه: عبدالله بن عبدالعزيز العقيل

(*) رحل عن دنيانا الفانية يوم الأربعاء الرابع من جمادى الأولى من عام ١٤٣٠هـ ولقد كان موته رُزءًا عظيمًا على الأمة الإسلامية عامة، وعلى طلّاب العلم خاصة، ورُزءًا عليّ بوجه أخص، فلقد كنت ألجأ إليه بعد الله تعالى في حل كثير من المعضلات العلمية التي أجد لديه الجواب الشافي عنها.

أسأل الله تعالى أن يجزيه عني وعن طلاب العلم خير ما يجزي شيخًا عن طلابه، وأن يرحمه ويعلي منزلته، ويجمعنا به في دار كرامته ومستقر رحمته، إنه جواد كريم.

علىٰ توجيهه المتواصل لطلاب العلم ليعنوا بهٰذه الأُرْجُوزة، ويهتموا بدراستها، ثم أكرمني أثابه الله تعالىٰ بتقديمه البليغ لها، وقد وصفني بوصف لا أستحقه فاستأذنته في حذفه، وبعد الإلحاح عليه في ذٰلك قال لي: الأمر راجع إليك.

فشكر الله له، وجزاه عني وعن طلّاب العلم خير الجزاء.

ولأخي فضيلة الشيخ محمد بن أحمد جدُّو خالص الدعاء والشكر علىٰ ملحوظاته القيّمة، وعلىٰ قيامه بعرض هٰذه الأُرْجُوزة علىٰ شيخنا المرابط، أحسن الله إليهما.

والشكر موصول لناظر وصية المحسن الكريم ناصر بن سليمان الصيقل؛ الأستاذ سليمان بن ناصر الصيقل علىٰ إسهامهم في طباعة هٰذا المتن وغيره.

فلصاحبها والقائمين عليها جزيل الشكر والعرفان، سائلاً الله تعالىٰ أن يجزل لهم المثوبة، ويبارك لهم في أنفسهم وأموالهم، ويجعل ما قدموه في موازين حسناتهم.

وللأخ المفضال والمحسن الكريم الأستاذ أبي ياسر: عبدالمجيد أبي عقيل خالص الشكر والدعاء علىٰ ماقدم لهٰذه السلسلة العلمية من خدمات جُلّىٰ، وسعي كريم في دعمها، أسأل الله أن يجزيه خير ما يجزي أخًا عن أخيه.

والشكر موصول كذٰلك للأخ الفاضل الخطّاط إبراهيم القرّافي علىٰ إكرامه لنا بتصميم الغلاف مع خطه الرائع.

وأختم بشكر القائمين علىٰ الندوة العالمية للشاب الإسلامي مقرونًا بالدعاء لهم علىٰ دعمهم باقتناء مطبوعات هٰذه السلسلة، والمساعدة علىٰ طباعتها وتوزيعها.

أثابهم الله علىٰ سعيهم، وزادهم توفيقًا وسدادًا.

وشكر الله لكل من أعان علىٰ إنجاح هٰذه السلسلة العلمية، داعيًا لهم

جميعاً بالعون والتوفيق، ومنهم نفر ألحُّوا عليّ مطالبين بعدم ذكر أسمائهم رغبة في تمحُّض إخلاص العمل لله عز وجل، أحسن الله إليهم جميعًا، وتقبل منهم.

كان الفراغ من زَبْر مسودة هذه المقدمة بُعَيد مغرب يوم الأحد الموافق للحادي والعشرين من شهر شوال عام ١٤٢٧هـ في مدينة الرياض، حرسها الله تعالى.

ثم أعدت النظر في الأُرجُوزة لتهيئتها للطبعة الثانية، مع الزوائد التي سبقت الإشارة إليها وأعدت النظر كذلك في المقدمة، في مجالس عدة كان آخرها ضحى يوم الخميس الموافق للسادس من شهر صفر الخير من عام ١٤٣١هـ.

وفي آخر المطاف أدعوا الله جلت قدرته أن يمنّ على هذه البلاد وعلى سائر بلاد المسلمين بالحفظ، ويجنبها الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يصلح أحوال المسلمين رعاة ورعية، إنه خير مسؤول وصلى الله وسلم على خير خلقه وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه تعالى



عبدالله بن محمد سفيان الحَكَمِيّ المذْحِجِيّ
المشرف على موقع المتون العلمية
WWW.ALMTOON.COM
البريد الإلكتروني
MTOON@ISLAMWAY.NET

مَتْنُ أُرْجُـوزَةِ
عُدَّةِ الطَّلَبِ
بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَـقِّي وَالْأَدَبِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْفَقِيرُ إِلَىٰ عَفْوِ رَبِّهِ عَبْدُاللهِ بْنُ مُحَمَّد ((سُفْيَانَ)) الْحَكَمِيّ :

بِسْمِ السَّلَامِ الْوَاحِدِ الْمُهَيْمِنِ ... اَلْمُسْتَعَانِ ذِي الْجَلَالِ الْمُؤْمِنِ

أَحْمَدُهُ مُسَبِّحًا مُسْتَغْفِرَا ... مِن كُلِّ ذَنْبٍ تَائِبًا مُعْتَذِرَا

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا جَرَىٰ ... نَهْرٌ عَلَىٰ نَبِيِّنَا خَيْرِ الْوَرَىٰ

وَآلِـهِ وَصَحْبِهِ الْأَطْهَارِ ... اَلْفَاتِحِينَ الْقَادَةِ الْأَخْيَارِ

وَبَعْدُ : فَالْعِلْمُ أَجَلُّ مَطْلَبِ ... بِهِ يَنَالُ الْمَرْءُ أَعْلَى الرُّتَبِ

وَهَـٰذِهِ أُرْجُوزَةٌ حَرَّرْتُهَا ... قَدْرَ اسْتِطَاعَتِي ، وَقَدْ رَصَّعْتُهَا

بِنُخَبٍ مِن كَلِمِ الْأَعْلَامِ ... نَظْمًا وَنَثْرًا بِالْمَحَلِّ السَّامِي

نَظَمْتُ فِيهَا الْمَنْهَجَ الْقَوِيمَا ... لِطَالِبِ الْعِلْمِ لِيَسْتَقِيمَا

مَسَارُنَا عَلَىٰ خُطَى الْأَسْلَافِ ... فَاظْفَرْ بِهِ وَاحْذَرْ صَدَى الْإِرْجَافِ

فَالْعِلْمُ لَا يُحْرَزُ بِالْأَلْقَابِ ... وَالنَّفْخِ بِالْإِطْرَاءِ وَالْإِعْجَابِ

كَلَّا وَلَا بِكَثْرَةِ التَّأْلِيفِ ... وَجُلُّهُ ضَرْبٌ مِنَ التَّزْيِيفِ

وَلَيْسَ بِالدِّعَايَةِ الْمُزَخْرَفَهْ ... يُضْنَعُ عَالِمٌ ، وَذَا مِنَ السَّفَهْ

كَمْ خَدَعَ النَّاسَ بَرِيقُ الْأَغْلِفَهْ ... وَكَمْ كِتَابٍ حَقُّهُ أَن تُتْلِفَهْ

وَكُلُّ هَـٰذَا مِنْ عَوَائِقِ الطَّلَبْ ... فَاجْتَنِبَنْ بُنَيَّ أَسْبَابَ الْعَطَبْ

وَإِنَّ هَـٰذَا الْـمَنْهَجَ اسْتَـقْرَأْتُـهُ مِن كُتُبِ الْعِلْمِ وَمِمَّا اخْتَـرْتُـهُ

مِنْ سِيَـرِ الْأَئِمَّةِ الْكِبَارِ كَذَاكَ عَنْ أَشْـيَاخِنَا الْأَخْيَارِ

ثُـمَّ أَفَـدتُ بَـعْضَهُ بِالتَّجْرِبَـهْ وَمَنْ أَرَادَ كُنْهَ شَيْءٍ جَـرَّبَـهْ

وَجُــلُّ مَا أَوْرَدتُ مِنْ آدَابِ فَـإِنَّـهُ لَارَيْـبَ مِن كِتَابِ

«تَذْكِرَةِ السَّامِعِ...» لِلْكِنَانِي عَلَـيْهِ تَـتْـرَىٰ رَحْـمَةُ الرَّحْمَـٰنِ

ثُـمَّ أَضَفْتُ مِن سِـوَاهُ دُرَرَا لِـعِقْدِهَا، وَلَسْتُ يَا ذَا مُنكِـرَا

لَـوَازِمَ النَّـفْسِ الَّتِي لَا يَسْلَـمُ مِنْـهَا امْـرُؤٌ، فَنَـقْصُنَا مُحَـتَّـمُ

وَمَا ادَّعَـيْتُ أَنَّـنِي وَفَّـيْتُ مَا كُـنْتُ أَبْـغِيـهِ وَلَا أَدَّيْـتُ

لَـٰكِنَّـهَا جِـسْـرٌ إِلَىٰ الْآدَابِ تَـذْكِرَةٌ لِـزُمَـرِ الطُّـلَّابِ

وَهَـٰذِهِ الْآدَابُ مِن جِنسِ الْعَمَلْ بِالْعِلْمِ، طُوبَىٰ لِمَنِ الشَّرْعَ امْتَـثَلْ

وَهِيَ عَوَاصِـمُ مِنَ الْقَـوَاصِـمِ كَالْعُجْبِ، وَالْغُرُورِ، وَالـتَّـعَالُـمِ

وَالْـقَدْحِ فِي النِّـيَّاتِ وَالْأَفْـهَامِ وَعَدَمِ الـتَّـوْقِـيـرِ لِلْأَعْلَامِ

وَتِلْكُـمُ الْآفَـاتُ مَعْ سِوَاهَا إِن شِئْتَ أَن تَـعْـرِفَ مُنتَهَاهَا

فَـذَاكَ رَاجِـعٌ إِلَىٰ إِهْـمَالِ تَـعْلِـيمِ ذِي الْآدَابِ لِلْأَجْـيَالِ

وَكَانَ أَخْـذُ الْعِلْمِ عِندَ السَّلَفِ يُـقْـرَنُ بِالْإِصْلَاحِ لِلنَّـفْسِ، وَفِي

بَعْضِ الْأَحَايِـينِ قُـبَيْلَ الطَّلَبِ يُـغْـرَسُ فِي الطَّالِبِ حُبُّ الْأَدَبِ

لِذَاكَ سَمَّوْهُ بِـ «عِلْمِ التَّزْكِيَةْ» أَوْ «أَدَبِ السُّلُوكِ» وَهْوَ التَّرْبِيَةْ

عَلَىٰ اكْتِسَابِ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَالسَّيْرِ فِي طَرِيقِهِ الْقَوِيمِ

وَعَلَّ مَا نَظَمْتُ مِنْ آدَابِ يُسْهِمُ فِي تَنْشِئَةِ الطُّلَّابِ

عَلَىٰ سُلُوكِ مَنْهَجِ الْأَسْلَافِ أَهْلِ التُّقَىٰ وَالْعِلْمِ وَالْإِنْصَافِ

سَمَّيْتُهَا بُنَيَّ «عُدَّةَ الطَّلَبْ بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالْأَدَبْ»

قِوَامُهَا بَابَانِ ثُمَّ خَاتِمَةْ أَحْسَنَ رَبِّي لِلْجَمِيعِ الْخَاتِمَةْ

وَكُلُّ بَابٍ مِنْهُمَا يَشْتَمِلُ عَلَىٰ فُصُولٍ خَمْسَةٍ تُفَصَّلُ

وَ «اللهُ يُحْظِينَا» بِحُسْنِ الْفَهْمِ «وَبِاجْتِنَاءِ ثَمَرَاتِ» الْعِلْمِ

وَمَا بِهَا مِنَ الصَّوَابِ يُرْجَعُ إِلَى الَّذِي لَهُ الرِّقَابُ تَخْضَعُ

أَسْأَلُهُ الْإِخْلَاصَ فِي الْأَعْمَالِ لِوَجْهِهِ، وَالصِّدْقَ فِي الْأَقْوَالِ

وَمَا حَوَتْ مِنْ خَطَإٍ فَإِنَّنِي أَسْتَغْفِرُ اللهَ عَظِيمَ الْمِنَنِ

مِنْهُ، وَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ وُقُوعُهُ حَتْماً بِلَا نُكْرَانِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ وَالرَّسُولَا مِنْهُ بَرِيئَانِ، أَتَىٰ مَنْقُولَا

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ صَحِيحَ السَّنَدِ يَرْوِيهِ عَنْهُ مُسْنِدٌ عَنْ مُسْنِدِ

عَلَيْهِ رِضْوَانُ الْعَلِيِّ وَعَلَىٰ سَائِرِ صَحْبِ الْمُصْطَفَىٰ خَيْرِ الْمَلَا

وَمَنْ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ قَدْ سَارَا وَاتَّخَذَ اتِّبَاعَهُمْ مَنَارَا

البَابُ الأَوَّلُ

فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَتَقْسِيمِ الْعُلُومِ، وَبَيَانِ أَهَمِّ أُسُسِ التَّحْصِيلِ الْعِلْمِيِّ وَأَنَّ الْحِفْظَ أَهَمُّ هَذِهِ الأُسُسِ، وَذِكْرِ أَهَمِّ شُرُوطِ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ

وَفِيهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ:

الْفَصْلُ الأَوَّلُ: فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ

اَلْعِلْمُ خَيْرُ مِنْحَةٍ حَبَانَا ... بِهَا الَّذِي عَلَّمَنَا الْبَيَانَا

الْعِلْمُ نُورٌ سَاطِعٌ لَا يَنْطَفِي ... بِهِ يَنَالُ الْمَرْءُ أَسْمَى شَرَفِ

أَثْنَى عَلَيْهِ اللهُ فِي كِتَابِهِ ... كَذَلِكُمْ أَثْنَى عَلَى طُلَّابِهِ

فِي آلِ عِمْرَانَ وَفِي الأَنْعَامِ ... وَالْعَنْكَبُوتِ دُونَمَا إِبْهَامِ

وَالنَّحْلِ ثُمَّ فَاطِرٍ وَالزُّمَرِ ... وَغَيْرِهَا مِنْ مُحْكَمَاتِ السُّوَرِ

وَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ بِأَنْ ... يَقُولَ ﴿ زِدْنِي ﴾ فَهْوَ أَعْظَمُ الْمِنَنْ

وَكَمْ حَدِيثٍ نَاطِقٍ بِفَضْلِهِ ... وَفَضْلِهِمْ، قَدْ زَخَرَتْ بِنَقْلِهِ

كُتْبُ الْحَدِيثِ بِاتِّصَالِ السَّنَدِ ... عَنْ كُلِّ عَدْلٍ ثِقَةٍ مُسَدَّدِ

أَصَحُّهَا ((مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ ... خَيْرًا يُفَقِّهْهُ ....)) فَسِرْ فِي دَرْبِهِ

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَتَى يَا بَاغِيَهْ ... مُتَّفَقًا عَلَيْهِ عَنْ مُعَاوِيَهْ

وَجَاءَ فِي سِوَاهُمَا عَنْ حَبْرِ ... أُمَّتِنَا ، وَعَنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ

أَبِي هُـرَيْـرَةَ ، وَصَـحَّ السَّنَدُ إِلَـيْهِمَا ، يَـرْوِي الْجَمِيعَ أَحْـمَدُ

فَـصَارَ مَشْهُورًا عَنِ الْـمُـعَـلِّـمِ صَلَّىٰ عَلَـيْهِ اللهُ عَدَّ الْكَلِمِ

وَمَـثَلُ الْـفَقِيهِ كَالْأَرْضِ الَّتِي قَـبِلَتِ الْمَا وَالَّتِي أَمْسَكَـتِ

خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِـيَّةِ هُمُ الْـ.... خِيَارُ فِي الْإِسْلَامِ إِنْ هَـٰذَا كَمُلْ

بِالْـفِقْهِ فِي الـدِّينِ وَالِاعْتِصَامِ بِشَرْعِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْـرَامِ

أَوَّلُ ذَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ وَرَدْ وَعَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ الثَّانِي ، وَقَـدْ

رَوَاهُـمَا الشَّيْخَانِ عَنْـهُمَا ، وَمَا وَجَدتُ فِي الصِّحَابِ مَن رَوَاهُمَا

سِوَاهُـمَا عَنِ الـنَّبِيِّ الْمُصْطَـفَىٰ صَلَّىٰ عَلَـيْهِ اللهُ مَا نَبْتٌ عَفَـا

وَالْـعُلَـمَا وُرَّاثُ الْأَنْبِيَـاءِ كَـمَا أَتَـانَـا عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ

فَـلَمْ يُـوَرِّثْ وَاحِـدٌ دِيـنَارَا أَوْ دِرْهَماً بَلْ وَرَّثُـوا مَا اخْـتَارَا

لَـهُـمْ تَـعَالَىٰ وَهُوَ عِلْمُ الشَّرْعِ آخِـذُهُ يَـحْظَىٰ بِـأَسْنَىٰ النَّـفْعِ

وَذَاكَ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَافِـرِ وَوَارِثٌ لِأَعْظَـمِ الْـمَفَـاخِـرِ

وَفِـيـهِ مَن سَلَكَ دَرْبـًا يَطْلُـبُ اَلْـعِلْـمَ فِيهِ ، فَضْلُهُ لَا يَـعْزُبُ

يُسَـهِّلُ اللهُ إِلَىٰ الْجِـنَانِ طَـرِيـقَهُ بِالْـفَوْزِ وَالـرِّضْوَانِ

أَجْنِحَةُ الْمَلَائِكِ الْكِرَامِ لَهْ تُوضَعُ تَأْيِـيدًا لِـمَا قَـدْ فَعَلَهْ

وَكُـلُّ مَخْلُـوقٍ لَـهُ يَسْتَـغْفِرُ وَأَجْـرُهُ عِندَ الرَّحِـيمِ أَكْـبَرُ

وَفِـيهِ جَـا : وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِـمِ حَـقًّا عَلَىٰ الْعَابِـدِ ذِي الْمَكَارِمِ

كَمِثْلِ فَضْلِ الْقَـمَـرِ الْمُكْـتَمِلِ عَلَى الْكَـوَاكِبِ ، فَبِالْعِلْمِ اعْمَلِ

وَفِي أَبِي دَاوُدَ جَـاءَ مُسْنَدَا وَكَـمْ إِمَامٍ طُـرْقَـهُ قَـدْ أَوْرَدَا

صَحَّحَـهُ بَعْضٌ وَبَعْضٌ حَسَّنَا بِـمَا لَـهُ مِن طُـرُقٍ فَأَحْـسَنَا

وَجَـاءَ فِي رِوَايَـةٍ : كَـفَضْلِي عَلَىٰ الْأَقَـلِّ مِنكُـمُ فِي الْفَضْلِ

حَيْثُ رَوَاهُ الـتِّرْمِـذِيُّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْقَيْسِيِّ صَاحِبِ الـنَّبِي

عَلَىٰ جَمِيعِ الصَّحْبِ رِضْوَانُ الصَّمَدْ مَا قَـرَأَ الْـقُرْآنَ عَبْـدٌ وَسَجَدْ

وَجَاءَ فِـيهِ حُكْـمُهُ الصَّرِيـحُ إِذْ قَـالَ عَنْـهُ : حَـسَنٌ صَحِيحُ

بَيْنَـهُمَا جَاءَ «غَرِيـبٌ» وَهُوَ فِي جَـامِعِهِ الْـفَذِّ قَلِيـلٌ فَـاعْرِفِ

وَ«طَلَبُ الْعِلْمِ فَـرِيـضَةٌ» وَرَدْ عَنْ عَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَـةِ ، وَقَـدْ

أَفْـرَدَهُ الشَّيْخُ جَـلَالُ الـدِّينِ فِي جُـزْءٍ لَـهُ بِـجُلِّ طُرْقِـهِ يَـفِي

ضَعَّفَهُ بَـعْـضٌ وَبَـعْـضٌ صَحَّحَا وَبَـعْضُهُـمْ حَسَّـنَهُ وَأَوْضَـحَا

بُطْلَانَ قَـوْلِ بَعْضِهِمْ «وَمُسْلِمَهْ» إِذْ لَمْ يَكُـن مِنَ الْحَدِيثِ فَاعْلَمَهْ

وَآخَـرُونَ صَحَّـحُوا مَـعْنَـاهُ وَضَعَّـفُوا فِي كُـتْبِهِمْ مَبْنَاهُ

وَالْحَـقُّ أَنَّـهُ بِـرُتْـبَـةِ الْحَسَنْ لِـغَـيْـرِهِ الْـيَـقُ فِي الرَّأْيِ الْحَسَنْ

عَنِ الْإِمَامَـيْنِ : أَبِي الْحَجَّاجِ وَالـذَّهَبِيِّ الْـفَذِّ ذِي الْحِـجَاجِ

{وَالعِلْمُ خَيْرٌ مِن صَلَاةِ النَّافِلَةْ فَقَدْ غَدَا اللهُ بِرِزْقِ كَافِلَهْ}

عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ قَدْ وَرَدْ وَالحَافِظُ الجَلَالُ ذَا الْقَوْلَ عَقَدْ

فِي ((الكَوْكَبِ السَّاطِعِ)) فِي الْخِتَامِ بَعْدَ كَلَامِهِ عَنِ الْأَعْلَامِ

وَجَاءَ فِي مِصْرَاعِهِ الثَّانِي خَبَرْ لَمْ يَكُ فِي إِسْنَادِهِ بِالْمُعْتَبَرْ

وَهَذِهِ الْآثَارُ فِي الْعِلْمِ وَفِي طُلَّابِهِ كَافِيَةٌ فَأَكْتَفِي

بِهَا ، إِذِ الْمَقْصُودُ الِاسْتِشْهَادُ وَالحَصْرُ لَوْ أَمْكَنَ لَا يُرَادُ

وَمَا بِرَابِعِ الْفُصُولِ أُورِدُ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِهِ أَسْتَشْهِدُ

كَأَمْرِ خَيْرِ الْخَلْقِ بِالْحِفْظِ يَصِحُّ بِهَا هُنَا اسْتِشْهَادُنَا فَلْيَتَّضِحْ

بِذَاكَ أَنَّ الْحِفْظَ أُسُّ الْعِلْمِ وَهْوَ طَرِيقُ فِقْهِنَا وَالْفَهْمِ

فَاشْرُفْ بِالِاشْتِغَالِ بِالْعِلْمِ وَلَا تَبْغِ بِهِ مَا عِشْتَ يَاذَا بَدَلَا

وَيَا لَهُ مِن شَرَفٍ عَظِيمِ يَعْلُو عَلَى مَرْتَبَةِ النَّدِيمِ

وَالْفَرْقُ بَيْنَ عَالِمٍ وَجَاهِلِ كَالْفَرْقِ بَيْنَ الْبُومِ وَالْبَلَابِلِ

وَالْبَوْنُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ كَمَا قَالَ الْهِلَالِيُّ مَقَالاً مُحْكَمَا

{الْعِلْمُ نُورٌ وَالْجَهَالَةُ حَلَكْ وَمَن سَرَى فِي ظُلْمَةِ الْجَهْلِ هَلَكْ}

وَذَكَرَ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّهْ فِي سِفْرِهِ ((الْمِفْتَاحِ)) ذِي الْمَزِيَّهْ

مِنَ الْوُجُوهِ مَا يَسُرُّ النَّقَلَهْ فِي فَضْلِهِ وَفَضْلِ مَن قَدْ حَمَلَهْ

مَحْصُورَةً فِي مِائَةٍ مِن بَعْدِ خَمْسِينَ مَعْ ثَلَاثَةٍ فِي الْعَدِّ

مَطْلَبٌ

فِي ثَمَرَاتِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ الْمُسْتَمَدِّ مِنَ الْوَحْيَيْنِ

وَثَمَرَاتُ الْعِلْمِ لَيْسَتْ تَنْحَصِرْ | مَنْ ذَا الَّذِي يُحْصِي الْغَمَامَ الْمُنْهَمِرْ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ يَشْرُفُ | إِلَّا بِكَسْبِ الْعِلْمِ فَهْوَ الشَّرَفُ
وَيَبْلُغُ الْمَنَازِلَ الْعُلْيَا بِهِ | وَبَعْدَ ذَلِكَ الرِّضَا مِنْ رَبِّهِ
إِذَا اسْتَنَارَ الْقَلْبُ بِالْعِلْمِ انْشَرَحْ | وَنَالَ مِنْ آثَارِهِ شَتَّى الْمِنَحْ
وَانْقَادَ لِلْخَيْرَاتِ سَائِرُ الْبَدَنْ | وَاشْتَاقَتِ النَّفْسُ إِلَى الْفِعْلِ الْحَسَنْ
فَهْوَ دَوَاءُ كُلِّ قَلْبٍ مُذْنِفِ | بِهِ النَّجَاةُ مِنْ حُصُولِ التَّلَفِ
وَأَنَّهُ الْعَاصِمُ لِلْأَجْيَالِ | مِنْ طُرُقِ الْغُلُوِّ وَالضَّلَالِ
وَهْوَ الَّذِي يُنِيرُ دَرْبَ الْأُمَّهْ | عِنْدَ حُلُولِ الْفِتَنِ الْمُلِمَّهْ
لِذَاكَ كَانَ أَفْضَلَ الْفَضَائِلِ | لَا يَمْتَرِي بِذَاكَ أَيُّ عَاقِلِ
وَمَصْدَرُ الْعِلْمِ كِتَابُ اللهِ | وَسُنَّةُ الْمُعَلِّمِ الْأَوَّاهِ
صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْبَارِي | مَا سَبَّحَ النُّسَّاكُ فِي الْأَسْحَارِ
وَالْفِقْهُ فِيهِمَا هُوَ السَّبِيلُ | إِلَى حَيَاةِ الرُّشْدِ، وَالدَّلِيلُ
إِلَى رِضَا الرَّحْمٰنِ إِنْ هُوَ اقْتَرَنْ | بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ ذِي الْقَصْدِ الْحَسَنْ
مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَا | مِنْ فِقْهِنَا فِي الدِّينِ فَاطْلُبْهُ، وَلَا

يَصْرِفْكَ عَنْهُ أَيُّ جَاهٍ أَوْ نَشَبْ ... لَاسِيَّمَا إِنْ كُنتَ فِي عَهْدِ الطَّلَبْ

وَلِلْهِلَالِيِّ كَلَامٌ يَحْسُنُ ... إِيرَادُهُ ، وَهْوَ إِمَامٌ مُتْقِنُ

{وَالْعِلْمُ مَا أَكْسَبَ خَوْفَ اللهِ ... فَمَنْ خَلَا مِنْهُ فَفَدْمٌ لَاهِي

لِأَنَّهُ مِيرَاثُ الْأَنْبِيَاءِ ... فَلَمْ يَنَلْهُ غَيْرُ الْأَتْقِيَاءِ

لِذَاكَ قِيلَ الْعِلْمُ يَدْعُو الْعَمَلَا ... إِن يُلْفِهِ قَرَّ وَإِلَّا ارْتَحَلَا

دَلِيلُ ذَاكَ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى﴾ إِلَى ... ﴿الْعُلَمَاءُ﴾ لَدَلِيلٌ انجَلَى

فَاعْمَلْ بِمَا عَلِمْتَ تُورَثْ عِلْمَ مَا ... لَمْ تَكُ تَعْلَمُ وَتُمْنَحْ مَغْنَمَا

وَاعْلَمْ بِأَنَّ كَدَرَ الذُّنُوبِ ... يَكْسِفُ نُورَ الْعِلْمِ فِي الْقُلُوبِ

أَمَا تَرَى الذُّبَالَ فِي الْمِصْبَاحِ ... إِذَا صَفَا أَرْضَاكَ فِي اسْتِصْبَاحِ

وَإِن يَكُن بِوَسَخٍ مُلَطَّخَا ... كَسَفَ نُورَهُ لِذَلِكَ الطَّخَا

وَاحْذَرْ عَلَى النُّورِ الَّذِي وُهِبْتَا ... وَإِن تُضِعْ نُورَ الْإِلَهِ خِبْتَا

وَزَيِّنِ الْعِلْمَ بِزِينَةِ الْوَرَعْ ... وَاقْنَعْ فَخِدْنُ الْحِرْصِ فِي الذُّلِّ كَرَعْ

إِنَّ الْقَنَاعَةَ أَعَزُّ مِلْكِ ... وَحِرْفَةُ الطَّمَعِ شَرُّ هُلْكِ

وَاطْلُبْ شِفَاءَ قَلْبِكَ الْمَرِيضِ ... مِن قَبْلِ أَن تَغَصَّ بِالْجَرِيضِ

وَلَا تَظُنَّ الْبُرْءَ مِنْ أَدْوَاكَا ... إِلَّا بِفَطْمِ النَّفْسِ عَنْ هَوَاكَا}

وَقَالَ فِي تَرْبِيَةِ الْجَوَارِحِ ... مَا عَزَّ أَن يُنسَجَ بِالْقَرَائِحِ

{وَاحْتَلْ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِالتَّدْرِيجِ ... فَإِنَّهُ أَذْهَبُ لِلتَّحْرِيجِ

وَخَالِفَنْهَا وَلَا تُطِعْهَا ... وَازْعَ الْوَدَائِعَ وَلَا تُضِعْهَا

وَهِيَ الْجَوَارِحُ الَّتِي يُكْتَسَبُ ... اَلْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِهَا وَيُجْلَبُ

وَهِيَ: لِسَانٌ، ثُمَّ فَرْجٌ، بَطْنُ ... يَدٌ، وَرِجْلٌ، ثُمَّ عَيْنٌ، أُذْنُ

١٣٠

سَبْعٌ كَأَبْوَابِ الْجَحِيمِ فِي الْعَدَدْ ... فَازْعَ جَمِيعَهَا وَأَلْزِمْهَا السَّدَدْ

فَإِنَّهَا مَسْؤُولَةٌ فِي الْآجِلِ ... شَاهِدَةٌ بِمَا جَنَتْ فِي الْعَاجِلِ

فَمَنْ عَصَىٰ بِوَاحِدٍ مِنْهَا فَقَدْ ... فَتَحَ بَابًا مِن جَحِيمٍ قَدْ وَقَدْ

وَأَصْلُهَا الْقَلْبُ فَعَالِجْ دَاءَهُ ... وَاحْشُ بِمَرْهَمِ التُّقَىٰ سَوْدَاءَهُ

صَلَاحُهُ صَلَاحُهَا لِمَن نَظَرْ ... وَالضِّدُّ بِالضِّدِّ كَمَا جَا فِي الْخَبَرْ

وَأَصْلُ دَاءِ الْقَلْبِ حُبُّ الْعَاجِلَهْ ... فَانْبِذْهُ وَاحْتَفِلْ لِأَمْرِ الْآجِلَهْ}



الْفَصْلُ الثَّانِي

فِي تَقْسِيمِ الْعُلُومِ إِلَىٰ عُلُومِ الْمَقَاصِدِ وَعُلُومِ الْوَسَائِلِ

مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ التَّقْسِيمَاتِ الدَّاخِلَةِ فِي هَـٰذَا التَّقْسِيمِ، وَبَيَانِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَشْتَغِلَ بِهِ طَالِبُ الْعِلْمِ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ

إِنَّ الْعُلُومَ تَعْجِزُ الْأَلْبَابُ عَنْ ... تَعْدَادِهَا وَحَصْرِهَا مَدَى الزَّمَنْ

يَجْمَعُهَا قِسْمَانِ يَشْمَلَانِ ... شَتَّى الْعُلُومِ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ

أَوَّلُ ذَيْنِ بِالْمَقَاصِدِ اشْتَهَرْ ... وَهْيَ عُلُومُ شَرْعِنَا الزَّاكِي الْأَغَرّْ

كَعِلْمِ تَوْحِيدِ الْمُهَيْمِنِ الْعَلِي ... وَعِلْمِ تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْمُنْزَلِ

وَالسُّنَنِ الصِّحَاحِ وَالْآثَارِ ... وَالْفِقْهِ، ثُمَّ سِيرَةِ الْمُخْتَارِ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا الْغَيْثُ انْهَمَرْ ... وَرَدَّدَ التَّالُونَ آيَاتِ السُّوَرْ

وَالثَّانِ: مَا كَانَ وَسِيلَةً إِلَىٰ ... عُلُومِ شَرْعِ ذِي الْجَلَالِ وَالْعُلَىٰ

يُسَمَّىٰ اصْطِلَاحاً بِعُلُومِ الْآلَهْ ... بِهَا انْكِشَافُ حُجُبِ الْجَهَالَهْ

وَجُلُّهَا عَلَىٰ اللِّسَانِ الْعَرَبِي ... مُعْتَمِدٌ ثُمَّ فُنُونِ الْأَدَبِ

فِي ثَالِثِ الْفُصُولِ يَأْتِي ذِكْرُ مَا ... يُهِمُّ مِنْهَا عِنْدَ كُلِّ الْعُلَمَا

وَابْنُ جُزَيٍّ جَعَلَ الْعُلُومَ فِي ... «تَقْرِيبِهِ» ثَلَاثَةً فَلْتَعْرِفِ

مُرَادَهُ، إِذْ قَدَّمَ الْعَقْلِيَّا ... فِي الذِّكْرِ ثُمَّ أَوْرَدَ النَّقْلِيَّا

فَالنَّقْلُ لَا يُفْهَمُ دُونَ الِابْتِدَا ... بِآلَةٍ لِفَهْمِهِ فَأَفْرَدَا

عِلْمَ أُصُولِ الْفِقْهِ بِالذِّكْرِ لِمَا ... حَوَىٰ مِنَ النَّقْلِ وَمَعْقُولٍ سَمَا

١٢٠

بِهِ يَكُونُ ثَالِثَ الْأَقْسَامِ ... مِن بَعْدِ ذَيْنِ عِندَ ذَا الْإِمَامِ

لِأَنَّ هَٰذَا الْعِلْمَ فِيهِ يُمْزَجُ ... اَلْعَقْلُ بِالنَّقْلِ، وَمِنْهُ يُولَجُ

بِالنَّظَرِ الثَّاقِبِ فِي الدَّلِيلِ ... كَذَاكَ فِي الْمَدْلُولِ بِالتَّعْلِيلِ

وَقَدْ أَتَىٰ فِي «اللُّؤْلُؤِ النَّظِيمِ» ... لِـ«زَكَرِيَّا» النَّاقِدِ الْعَلِيمِ

بِأَنَّهَا أَرْبَعَةٌ: شَرْعِيَّهْ ... وَأَدَبِيَّةٌ كَذَا عَقْلِيَّهْ

ثُمَّ الرِّيَاضِيَّةُ، وَالْجَمِيعُ قَدْ ... حَوَىٰ مِنَ الْأَنْوَاعِ مَا بِهِ انْفَرَدْ

وَنَظْمُهَا يَطُولُ فَانظُرْ عَدَّهَا ... فِيهِ، فَقَدْ عَدَّدَهَا وَحَدَّهَا

وَ«الذَّهَبِيُّ» قَسَّمَ الْعِلْمَ إِلَىٰ ... خَمْسَةِ أَقْسَامٍ كَمَا قَدْ أَجْمَلَا

ذَٰلِكَ فِي رِسَالَةِ «الْمَسَائِلِ» ... بَدْءًا، مَعَ التَّفْصِيلِ بِالدَّلَائِلِ

فَمِنْهُ فَرْضٌ لَا يَكُونُ مُسْلِمَا ... عَبْدٌ بِدُونِهِ كَمَا قَدْ عُلِمَا

١٧٠

مِثْلُ الشَّهَادَتَيْنِ وَالصَّلَاةِ ... وَالْحَجِّ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ

يَعْلَمُهَا مِنْ غَيْرِ مَا تَفْصِيلِ ... مُسْتَيْقِنًا بِهَا بِلَا تَعْلِيلِ

كَذَٰلِكَ التَّصْدِيقُ بِالَّذِي أَتَىٰ ... بِهِ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَىٰ، وَثَبَتَا

عَنْهُ، عَلَيْهِ بَارِئُ الْأَكْوَانِ ... صَلَّىٰ وَسَلَّمَ مَدَى الْأَزْمَانِ

وَإِنَّ مِن فَرَائِضِ الْكِفَايَةْ — حِفْظَ كِتَابِ اللهِ وَالدِّرَايَةْ

بِأُسُسِ الشَّرْعِ عَلَىٰ التَّفْصِيلِ — وَطُرُقِ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ

وَمِنْهُ مَا اسْتُحِبَّ كَالْإِمْعَانِ فِي — شَتَّىٰ عُلُومِ شَرْعِنَا الْمُشَرَّفِ

وَكُلُّ مَا لِلَّذِي الْعُلُومِ مِن صِلَةْ — مِنْ آلَةٍ وَمِنْ عُلُومٍ مُكْمِلَةْ

وَمِنْهُ مَا أُبِيحَ كَالْأَخْبَارِ — وَسِيَرِ الْوُلَاةِ فِي الْأَقْطَارِ

وَمِنْهُ مَا يُكْرَهُ كَالْعِنَايَةْ — بِجَمْعِ شِعْرِ زُمَرِ الْغِوَايَةْ

وَإِنَّ صَرْفَ الْوَقْتِ فِي التَّنْقِيبِ عَنْ — أَشْعَارِهِمْ هُوَ الْفُضُولُ وَالْغَبَنْ

إِلَّا إِذَا كَانَ لِكَشْفِ الْبَاطِلِ — فَإِنَّهُ ذَبٌّ عَنِ الْفَضَائِلِ

وَحِفْظُهُ مِن دُونِ تَنْبِيهٍ عَلَىٰ — مَا يَخْدِشُ الْآدَابَ مِمَّا حُظِلَا

وَمِنْهُ مَا يَحْرُمُ كَالسِّحْرِ وَمَا — يُوقِعُ فِي الزَّيْغِ إِذَا مَا عُلِمَا

وَمَا مَضَىٰ مِنْ أَضْرُبِ التَّقْسِيمِ — عَنِ الْإِمَامَيْنِ لِذِي الْعُلُومِ

مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ الْعُلُومِ كُلِّهَا — نَقْلاً وَعَقْلاً دِقِّهَا وَجِلِّهَا

وَكُلُّ تَقْسِيمٍ صَحِيحٌ إِن نُظِرْ — إِلَيْهِ مِن كُلِّ النَّوَاحِي، فَانْتَصِرْ

لِكُلِّ وَاحِدٍ، وَلَا تَعَارُضَا — بَيْنَهُمُ كَلَّا وَلَا تَنَاقُضَا

فَكُلُّ وَاحِدٍ لَهُ مُرَادُ — وَكُلُّهُمْ عَلَىٰ الْهُدَىٰ وُرَّادُ

عَلَيْهِمُ رَحْمَةُ ذِي الْجَلَالِ مَا — وَدَقَّ هَمَىٰ، وَمَا الْهَزَارُ رَنَّمَا

وَ«لْيَهْنِكَ الْعِلْمُ» بُنَيَّ فَابْتَذِلْ ... نَفْسَكَ فِي تَحْصِيلِهِ وَلْتَحْتَفِلْ

بِحِفْظِكَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الطَّلَبِ ... فَهْوَ عِمَادُ الشَّرَفِ الْمُرْتَقَبِ

وَلْيَقْتَرِنْ حِفْظُكَ بِالتَّجْوِيدِ ... رِوَايَةً عَنْ قَارِئٍ مُجِيدِ

وَلْتَسْتَجِزْهُ كَيْ تُجِيزَ غَيْرَكَا ... فَارْفَعْ بِإِسْنَادِ الْعُلُومِ قَدْرَكَا

وَثَبِّتَنْ حِفْظَكَ بِالْمُرَاجَعَهْ ... فَإِنْ نَسِيتَهُ فَتِلْكَ الْفَاجِعَهْ



الْفَصْلُ الثَّالِثُ

فِي بَيَانِ أَهَمِّ أُسُسِ التَّحْصِيلِ الْعِلْمِيِّ

إِذَا شَرَعْتَ يَا بُنَيَّ فِي الطَّلَبْ ... فَلْتَسْأَلِ الرَّحْمَٰنَ تَيْسِيرَ الْأَرَبْ

وَاطْلُبْهُ طِبْقَ الْمَنْهَجِ الْأَصِيلِ ... مُعْتَنِياً بِأُسُسِ التَّحْصِيلِ

مِنْ بَعْدِ أَن تَسْتَحْضِرَ الْقُرْآنَا ... حِفْظًا، وَقَدْ ذَكَرْتُ هَٰذَا الْآنَا

هَٰذَا الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ ... فِي سَائِرِ الْعُصُورِ يَا ذَا الْفَهْمِ

وَهَٰذِهِ الْأُسُسُ سِتَّةَ عَشَرْ ... جَمَعْتُهَا عَلَىٰ مَدَارِ اثْنَيْ عَشَرْ

عَامًا، وَلَسْتُ دَائِمَ التَّفْكِيرِ ... فِيهَا وَلَٰكِنْ حَسَبَ التَّنْقِيرِ

فِي الْكُتْبِ، وَالْحِوَارِ، مَعْ سُؤَالِ ... أَشْيَاخِنَا فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ

أَوَّلُهَا الْأَخْذُ عَنِ الشُّيُوخِ ... أَهْلِ التُّقَىٰ وَالسَّمْتِ وَالرُّسُوخِ

وَسَائِرُ الْأُسُسِ تَأْتِي تَابِعَهْ ... أَهَمُّهَا: حَصْرُ الْمُتُونِ النَّافِعَهْ

بِنَسْخِ مَالَمْ تُلْفِهِ مَطْبُوعَا ... مِن قَبْلِ أَن تَرْوِيَهُ مَسْمُوعَا

وَالضَّبْطُ، ثُمَّ الْحِفْظُ، فَالسَّمَاعُ ... بِذَٰلِكُمْ يَحْصُلُ الِانْتِفَاعُ

فَهَٰذِهِ أَرْبَعَةٌ بِالْأَوَّلِ ... رِبَاطُهَا، فَاحْذَرْ رِبَاطَ الْكَسَلِ

وَاحْرِصْ عَلَىٰ الْمَنظُومِ فَهْوَ أَسْهَلُ ... لِلْحِفْظِ مِن نَثْرٍ، وَمِنْهُ أَجْمَلُ

وَهْوَ لِطُلَّابِ الْعُلُومِ أَنفَعُ ... وَلِلْفَوَائِدِ الْحِسَانِ أَجْمَعُ

مِنْ أَجْلِ هَـٰذَا عَوَّلَ الأَعْلَامُ ... عَلَيْهِ ، وَانبَرَتْ لَهُ الأَقْلَامُ ٢١٠

وَالسَّادِسُ التَّقْدِيمُ لِلْوَسَائِلِ ... فَإِنَّهَا الْمِعْرَاجُ لِلْفَضَائِلِ

فَابْدَأْ بِعِلْمِ النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْـ.....أَصْلَيْنِ وَالْفَصِيحِ تُحْرِزِ الأَمَلْ

مَعَ الْبَلَاغَةِ وَأَنْوَاعِ الأَدَبْ ... لَاسِيَّمَا الْمُخْتَارُ مِن شِعْرِ الْعَرَبْ

وَخُضْ عُلُومَ الشَّرْعِ بَعْدَ ذَلِكَا ... يُذَلِّلِ اللهُ لَكَ الْمَسَالِكَا

وَالسَّابِعُ الْمَبَادِئُ الْعَشْرِيَّهْ ... لِكُلِّ عِلْمٍ يَنفَعُ الْبَرِيَّهْ

وَهْيَ اسْمُهُ ، وَحَدُّهُ ، وَنِسْبَتُهْ ... مَوْضُوعُهُ ، وَاضِعُهُ ، ثَمَرَتُهْ

كَذَلِكَ اسْتِمْدَادُهُ ، فَضَائِلُهْ ... وَحُكْمُهُ ، خِتَامُهَا مَسَائِلُهْ

وَبَعْضُهُمْ بِبَعْضِهَا قَدِ اكْتَفَىٰ ... فَادْرِ الْجَمِيعَ إِنْ أَرَدْتَ الشَّرَفَا

وَالثَّامِنُ الشُّرُوعُ فِي الشُّرُوحِ ... فَإِنَّهَا الْمِرْقَاةُ لِلطُّمُوحِ

وَالشَّرْحُ يُؤْخَذُ عَنِ الشَّيْخِ كَمَا ... فِي الأُسُسِ الْخَمْسَةِ الأُولَىٰ فَافْهَمَا ٢٢٠

فَالشَّيْخُ مِحْوَرٌ لِكُلِّ الأُسُسِ ... فَاخْتَرْ مِنَ الشُّيُوخِ كُلَّ كَيِّسِ

لِكَوْنِ ذِي الأُسُسِ لَا تَحَقَّقُ ... مِن دُونِهِمْ فَهُمْ إِلَيْهَا أَسْبَقُ

وَالتَّاسِعُ التَّدْوِينُ لِلْفَوَائِدِ ... كَذَلِكَ التَّقْيِيدُ لِلشَّوَارِدِ

فَدَوِّنَنْ أَحْسَنَ مَا سَمِعْتَا ... ثُمَّ احْفَظَنْ أَحْسَنَ مَا كَتَبْتَا

وَحَدِّثَنْ بِأَحْسَنِ الْمَحْفُوظِ ... لَدَيْكَ ، تِلْكَ قَوْلَةُ الْمَحْظُوظِ

أَعْنِي الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ ذَا اللَّسَنْ ... وَالْمُخْتِدِ الْكَرِيمِ وَالرَّأْيِ الْحَسَنْ

وَالْعَاشِرُ التَّكْرَارُ وَالْمُرَاجَعَهْ ... لِلْحِفْظِ وَالشَّرْحِ مَعَ الْمُتَابَعَهْ

وَقَدِّمِ الْأَهَمَّ وَهْوَ الْحَادِي ... فَالْعِلْمُ جَمٌّ يَا أَخَا الْأَمْجَادِ

يَتْلُوهُ وَهْوَ حَتْمُهُ التَّدَرُّجُ ... مَنْ حَادَ عَنْهُ لِلْعُلَى لَا يَعْرُجُ

فَابْدَأْ بِمَتْنٍ جَامِعٍ مُخْتَصَرِ ... فِي كُلِّ عِلْمٍ وَانْتَقِلْ لِآخَرِ ٢٢٠

يَكُونُ مِنْهُ فِي الْبَيَانِ أَشْمَلَا ... ثُمَّ اقْتَحِمْ مِن بَعْدِهِ الْمُطَوَّلَا

وَمَالَكَ مِنْ «أَلْفِيَّةِ السَّنَدِ» مَا ... شَيْخُ زَبِيدٍ قَالَهُ فَأَحْكَمَا

{ فَإِنَّ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ تَخْتَلِطْ ... وَبَعْضُهَا بِشَرْطِ بَعْضٍ مُرْتَبِطْ

فَمَا حَوَى الْغَايَاتِ فِي أَلْفِ سَنَهْ ... شَخْصٌ فَخُذْ مِن كُلِّ فَنٍّ أَحْسَنَهْ

بِحِفْظِ مَتْنٍ جَامِعٍ لِلرَّاجِحِ ... تَحُلُّهُ عَلَى مُفِيدٍ نَاصِحِ

ثُمَّ مَعَ الْفُرْصَةِ فَابْحَثْ عَنْهُ ... حَقِّقْ وَدَقِّقْ وَاسْتَمِدَّ مِنْهُ

لَكِنَّ ذَاكَ بِاخْتِلَافِ الْفَهْمِ ... مُخْتَلِفٌ وَبِاخْتِلَافِ الْعِلْمِ

فَالْمُبْتَدِي وَالْفَدْمُ لَا يُطِيقُ ... بَحْثاً بِعِلْمٍ وَجْهُهُ دَقِيقُ

وَمَنْ يَكُن فِي فَهْمِهِ بَلَادَهْ ... فَلْيَصْرِفِ الْوَقْتَ إِلَى الْعِبَادَهْ

أَوْ غَيْرِهَا مِن كُلِّ ذِي ثَوَابِ ... وَلَوْ بِحُسْنِ الْقَصْدِ فِي الْأَسْبَابِ} ٢٣٠

وَإِنَّ مَنْ عَلَى صِغَارِ الْعِلْمِ ... قَبْلَ كِبَارِهِ بِحُسْنِ الْفَهْمِ

رَبَّى التَّلَامِيذَ هُوَ الرَّبَّانِي * ذُو الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ وَالْبَيَانِ

وَفِي كِتَابِ الْعِلْمِ فِي الْبُخَارِي * عُلِّقَ، وَالْمَعْنَى بِـ«فَتْحِ الْبَارِي»

وَثَالِثٌ مِن بَعْدِ عَشْرَةٍ أَتَى * حُسْنُ سُؤَالٍ وَاسْتِمَاعٍ يَا فَتَى

هُمَا الْجَنَاحَانِ لِكَسْبِ الْعِلْمِ * وَبِهِمَا فَاصْعَدْ سَمَاءَ الْفَهْمِ

وَاطْلُبْهُ مَقْرُوناً بِخَالِصِ الْعَمَلْ * للهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ جَلّْ

فَذَا الْأَسَاسُ رَابِعٌ مِن بَعْدِ * عَشَرَةٍ ؛ خَامِسُهَا فِي الْقَصْدِ

أَن نَتَحَلَّى يَا أُولِي الْأَلْبَابِ * بِأَكْرَمِ الْخِصَالِ وَالْآدَابِ

وَحَسْبُنَا مَا قَالَ فِي «النَّصِيحَهْ» * حَمَّادُ ذُو الْمِقْوَلِ ذُو الْقَرِيحَهْ

مُسْتَنبِطاً مِن قِصَّةِ الْكَلِيمِ * وَالْخَضِرِ الْمُحَدَّثِ الْعَلِيمِ (٢٥٠)

سَبْعَةَ آدَابٍ، وَفِي بَيْتٍ لَهُ * دَوَّنَهَا فَاحْفَظْهُ مَا أَجْمَلَهُ

{لَهُ تَغَرَّبْ، وَتَوَاضَعْ، وَاتْرُعْ * وَجُعْ، وَهُنْ، وَاعْصِ هَوَاكَ، وَاتَّبِعْ}

وَهَذِهِ وَغَيْرُهَا سَتُذْكَرُ * فِي بَابِهَا، وَعَدُّهَا لَا يُحْصَرُ

أَفْرَدتُهَا لِمَا لَهَا مِن شَانِ * فَهْيَ لَهُ كَالسُّورِ لِلْبُنْيَانِ

وَسَادِسٌ مِن بَعْدِ عَشْرَةٍ فَعِ * تَثْبِيتُهُ بِنَشْرِهِ فِي الْأَرْبَعِ

بِالدَّرْسِ وَالتَّصْنِيفِ وَالْإِفْتَاءِ * وَذَا لِمَنْ أَضْحَى مِنَ الْأَكْفَاءِ

وَأَخْذُنَا الْعِلْمَ لَهُ مَرَاتِبُ * خَمْسٌ رَوَاهَا سَابِقٌ وَعَاقِبُ

عَنِ ابْنِ مُتَّالِي الْمُحَقِّقِ الْعَلَمْ ... فِي نَظْمِهِ الْمَشْهُورِ فَاحْفَظْ مَا رَسَمْ

{كُتْبٌ، إِجَازَةٌ، وَحِفْظُ الرَّسْمِ ... قِرَاءَةٌ، تَدْرِيسٌ، أَخْذُ الْعِلْمِ

وَمَنْ يُقَدِّمْ رُتْبَةً عَنِ الْمَحَلْ ... مِن ذِي الْمَرَاتِبِ الْمَرَامَ لَمْ يَنَلْ}

★ ★ ★

وَهَكَذَا اشْرَعْ فِي الْعُلُومِ سَالِكًا ... مَسَالِكَ الْأَسْلَافِ كَيْ تُشَارِكَا

فِي نَشْرِ هَذَا الْمَنْهَجِ الْفَرِيدِ ... الْوَاضِحِ الْمُمَهَّدِ السَّدِيدِ

وَلْيَحْسُنِ الشُّرُوعُ فِي الْحَدِيثِ ... مِن بَعْدِ حِفْظِ أَحْسَنِ الْحَدِيثِ

وَإِنْ رَأَى الطَّالِبُ أَن يَبْتَدِئَا ... بِمَا بِهِ نَبِيُّنَا قَدْ بَدَأَا

أَعْنِي بِهِ عِلْمَ اعْتِقَادِ السَّلَفِ ... مَعَ النَّقِيضِ فِي عُهُودِ الْخَلَفِ

بَلْ وَاجِبٌ عَلَيْهِ قَبْلَ الِابْتِدَا ... بِأُسُسِ الْآلَةِ أَن يَسْتَرْشِدَا

بِلُمْعَةٍ عَنْ عِلْمِ تَوْحِيدِ الصَّمَدْ ... وَمَا لِخَيْرِ الْخَلْقِ مِنْ حَقٍّ وَرَدْ

كَذَاكَ مَا لَا بُدَّ مِنْ أَحْكَامِ ... تَخْتَصُّ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ

مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ وَلَا تَذْلِيلِ ... وَدُونَ تَحْقِيقٍ وَلَا تَعْلِيلِ

حَتَّى يَحُوزَ مِنْ عُلُومِ الْآلَهْ ... قَدْرًا بِهِ يَنَالُ مَا يَسْعَى لَهْ

مِن كُلِّ عِلْمٍ نَافِعٍ تَعَلَّقَا ... بِالْوَحْيِ قُرْآنًا، وَمَا تَحَقَّقَا

ثُبُوتُهُ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُسْنَدِ ... عَنِ الْبَشِيرِ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدِ

صَلَّى الَّذِي أَرْسَلَهُ وَسَلَّمَا ... عَلَيْهِ، كَمْ هَدَى بِهِ وَعَلَّمَا

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

فِي بَيَانِ أَنَّ الْحِفْظَ أَهَمُّ هَـٰذِهِ الْأُسُسِ بَعْدَ التَّلَقِّي عَلَىٰ أَيْدِي أَهْلِ الْعِلْمِ

وَالْحِفْظُ أَوْلَىٰ مَا مَضَىٰ مِنْ أُسُسِ ... فَادْأَبْ عَلَيْهِ فِي الضُّحَىٰ وَالْغَلَسِ

وَكُلَّ حِينٍ مَا حَيِيتَ، وَاصْطَبِرْ ... عَلَيْهِ، وَاسْأَلِ الْمَلِيكَ الْمُقْتَدِرْ

سُبْحَانَهُ التَّوْفِيقَ وَالتَّثْبِيتَا ... عَلَىٰ الْهُدَىٰ وَالرُّشْدِ مَا حَيِيتَا

وَأَن تَكُونَ حَافِظًا مُسْتَحْضِرا ... تُمْطِرُ طُلَّابَ الْعُلُومِ الدُّرَرَا

{مَنْ مُنِحَ الْحِفْظَ - رُزِقْتَهُ - وَعَىٰ} ... وعَاشَ فِي أَوْهَامِهِ مَن ضَيَّعَا

لِأَنَّهُ لِفَهْمِنَا الْأَسَاسُ ... وَحَظُّ مَن يَتْرُكُهُ الْإِفْلَاسُ

وَالْحِفْظُ مِنْ خَصَائِصِ الْعُرْبِ كَمَا ... أَتَىٰ عَنِ الْمُخْتَارِ نَصًّا مُحْكَمَا

أَلْفَاظُهُ كَمَا أَتَتْ مَرْوِيَّهْ ... بِالنَّصِّ «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّهْ»

أَتْبَعَهَا بِقَوْلِهِ: «لَا نَكْتُبُ» ... وَبَعْدَ وَاوِ الْعَطْفِ جَا «لَا نَحْسُبُ»

وَهْوَ حَدِيثٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَرَدْ ... صَلَّىٰ عَلَىٰ قَائِلِهِ الْفَرْدُ الصَّمَدْ

وَالْأَمْرُ بِالْحِفْظِ أَتَىٰ صَرِيحَا ... عَنِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ صَحِيحَا

كَذَا أَتَىٰ عَنْ صَحْبِهِ الْأَبْرَارِ ... وَالتَّابِعِينَ السَّادَةِ الْأَخْيَارِ

أَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ مَن بَعْدَهُمْ ... نَبِيُّنَا فَقَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ» هُمْ

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ اشْتِهَارُهُ ثَبَتْ ... مِن طُرُقٍ كَثِيرَةٍ تَعَدَّدَتْ

بَلِ اسْتَفَاضَ فِيهِمَا ، وَإِن تُرِدْ — ثُبُوتَهُ فِي غَيْرِ ذَيْنِ فَأَعِدْ

لِذَلِكَ الْعُدَّةَ وَاقْفُ الْمَاهِرَا — أَيِ الَّذِي قَدْ أَثْبَتَ التَّوَاتُرَا

أَعْنِي بِهِ الْحَافِظَ فِي «الْإِصَابَهْ» — فَكَمْ لَهُ فِي الْبَحْثِ مِنْ إِصَابَهْ (٢٩٠)

وَأَمْرُ خَيْرِ الْخَلْقِ بِالْحِفْظِ أَتَىٰ — لِوَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ حَيْثُ ثَبَتَا

عَنْهُ صَرِيحًا أَمْرُهُ بِحِفْظِ مَا — بَيَّنَ مِنْ حِلٍّ وَمَا قَدْ حَرَّمَا

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ «احْفَظُوهُ» — فَإِنْ أَتَيْتُمْ قَوْمَكُمْ فَارْوُوهُ

أَلْفَاظُهُ كَثِيرَةٌ مُحَرَّرَهْ — وَفِي الصَّحِيحَيْنِ رَوَاهَا الْمَهَرَهْ

وَفِي حَدِيثٍ ثَابِتٍ عَنْهُ دَعَا — لِحَافِظِي سُنَّتِهِ نِعْمَ الدُّعَا

فَقَالَ فِيهِ «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا — سَمِعَ مِنِّي» مَا أَقُولُ وَرَأَىٰ

أَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ أَن يُبَلِّغَهْ — لِغَيْرِهِ كَمَا وَعَىٰ ، فَبَلَّغَهْ

وَ«رَحِمَ اللَّهُ امْرَءًا» قَدْ ثَبَتَا — عَنِ ابْنِ ثَابِتٍ صَرِيحًا ، وَأَتَىٰ

ذَلِكَ فِي سِفْرِ ابْنِ حِبَّانَ كَمَا — حَوَاهُ «الِاحْسَانُ» بِتَرْتِيبٍ سَمَا

وَجَاءَ فِيهِ قَوْلُهُ : «فَحَفِظَهْ» — وَذَاكَ خَيْرُ شَاهِدٍ فَلْتَحْفَظَهْ (٣٠٠)

وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَرَدْ — إِذْ صَحَّ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ لَا تُرَدّْ

وَكَمْ لَهُ مِنْ شَاهِدٍ مَنْقُولِ — يُرْوَىٰ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْفُحُولِ

نَحْوُ ثَلَاثِينَ مِنَ الْأَصْحَابِ — رَوَوْهُ عَمَّنْ جَاءَ بِالْكِتَابِ

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْبَاقِي ... مَا انْبَعَثَتْ نَوَازِعُ الْأَشْوَاقِ

وَعَدُّهُ الْحَافِظُ فِيمَا اشْتَهَرَا ... وَبِالتَّوَاتُرِ الْجَلَالُ أَخْبَرَا

ثُمَّ أَتَىٰ الْأَمْرُ بِحِفْظِ الْعِلْمِ عَنْ ... بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَحُرَّاسِ السُّنَنْ

مِن تَابِعِيهِمْ: فَابْنُ قَيْسٍ قَدْ زَجَرْ ... مَن رَامَ أَن يَكْتُبَ عَنْهُ إِذْ أَمَرْ

أَن يُحْضِرُوا مَاءً لَهُ لِيَغْسِلَا ... مَا كَتَبُوا ، بَلْ قَالَ فِيمَا نُقِلَا

لَا تَكْتُبُوا، بَلِ احْفَظُوا عَنَّا كَمَا ... كُنَّا حَفِظْنَا عَنْ إِمَامِ الْعُلَمَا

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْخَالِقُ ... الصَّمَدُ الْبَرُّ الرَّحِيمُ الرَّازِقُ

وَمَا أَتَىٰ عَنِ ابْنِ قَيْسٍ ثَبَتَا ... وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ لَفْظُهُ أَتَىٰ

وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ مَالِكٍ وَرَدْ ... فِي الدَّارِمِيِّ إِذْ بِهِ صَحَّ السَّنَدْ

عَنْهُ، وَزَادَ قَوْلَهُ: لَن نَجْعَلَا ... ذَلِكَ قُرْآنًا ، وَهَذَا نُقِلَا

عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْأَصْحَابِ ... وَالتَّابِعِينَ الْكُمَّلِ الْأَنْجَابِ

«لَا نَكْتُبُ الْعِلْمَ وَلَا نُكْتِبُهُ» ... قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، كَذَا يَنسِبُهُ

إِلَىٰ ابْنِ صَخْرٍ حَافِظِ الْإِسْلَامِ ... بَعْضٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ

ثُمَّ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ قَدْ سَارَا ... مِن تَابِعِيهِمْ مَن نَحَا الْإِنْكَارَا

أَشْهَرُهُمْ عَبِيدَةٌ وَالنَّخَعِي ... ثُمَّ ابْنُ سِيرِينَ الْإِمَامُ اللَّوْذَعِي

كَذَلِكَ الزُّهْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِي ... لَمْ يَكْتُبَا فِي مَجْلِسِ السَّمَاعِ

(٣٢٠) وَذَكَرَ الشَّعْبِيُّ : مَا كَتَبْتُ ... سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ ، أَوْ رَغِبْتُ

فِي أَن يُعَادَ مَا سَمِعْتُ أَبَدَا ... يَالَهْفَ قَلْبِي وَيْحَهُ مَا أَبْلَدَا

أَصْلِحْهُ يَا رَبَّاهُ وَامْنَحْنِي الْهُدَىٰ ... وَالْحِفْظَ وَالْفِقْهَ وَعَيْشَ السُّعَدَا

وَهَبْ لِكُلِّ السَّالِكِينَ ذَٰلِكَا ... وَاجْنُبْهُمُ الْمَسَالِكَ الْحَوَالِكَا

★ ★ ★

ثُمَّ أَتَىٰ مِنْ بَعْدِهِمْ مَن شَدَّدَا ... فِي مَسْلَكِ الْحِفْظِ فَكَبَّلَ الْيَدَا

كَثَعْلَبٍ إِذْ قَالَ وَهْوَ الْعَجَبُ ... فِي حِفْظِهِ وَفَارِسٌ لَا يُغْلَبُ

إِذَا أَرَدتَ أَن تَكُونَ عَالِمَا ... فَلْتَكْسِرِ الْيَرَاعَ تَبْقَ الرَّاقِمَا

لِمَا سَمِعْتَ فِي رَقِيمِ صَدْرِكَا ... مُدَوَّنًا ذَٰلِكَ فِي تَأْمُورِكَا

وَمَا مَضَىٰ مِن نَهْيِهِمْ عَن كَتْبِ مَا ... قَدْ سَمِعُوا مِنَ الْعُلُومِ إِنَّمَا

ذَٰلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى التَّدْوِينِ فِي ... مَجَالِسِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يُعَنَّفِ

(٣٣٠) مَن دَوَّنُوا مِنْ حِفْظِهِمْ مَا سَمِعُوا ... فَحَفِظُوا الْعِلْمَ وَلَمْ يُضَيِّعُوا

وَبَعْضُهُمْ قَدْ خَافَ مِنْ هِجْرَانِ ... طُلَّابِهِ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ

بِالِاشْتِغَالِ بِالْحَدِيثِ فَمَنَعْ ... تَدْوِينَ سُنَّةِ الرَّسُولِ الْمُتَّبَعْ

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ اللهُ مَا ... أَطْلَعَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ الْأَنجُمَا

أَوْ خَافَ الِاتِّكَالَ كَاتِّكَالِنَا ... عَلَىٰ وُجُودِ الْكُتْبِ فِي زَمَانِنَا

فَجَعَلُوا الْحِفْظَ لَهُمْ وَسِيلَهْ | إِلَىٰ بُلُوغِ الرُّتْبَةِ الْجَلِيلَهْ
فِي الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ فَنَالُوا الشَّرَفَا | وَاللَّهُ خَصَّهُمْ بِذَا وَشَرَّفَا
وَقَدْ رَوَىٰ الْخَطِيبُ فِي «التَّقْيِيدِ» مِنْ | أَخْبَارِهِمْ مَا فِيهِ ذِكْرَىٰ لِلْفَطِنْ
وَبَعْضُهَا قَدْ جَاءَ فِي «الْمُحَدِّثِ» | لِلْحَسَنِ الْأَدِيبِ وَالْمُحَدِّثِ
وَمِنْهُمُ مَنْ كَانَ يَمْحُو مَا كَتَبْ | إِذْ كُلُّ مَا دَوَّنَهُ حَتْمًا وَعَبْ
فَالْخَطُّ عِنْدَهُمْ وَسِيلَةٌ إِلَىٰ | حِفْظِهِمُ الْعِلْمَ كَمَا قَدْ نُقِلَا
عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ كَمَسْرُوقٍ وَمَنْ | أَبَانَ ذَا كَمَالِكٍ نَجْمِ السُّنَنْ
وَالْمَحْوُ بَعْدَ الْحِفْظِ غَيْرُ مُمْكِنِ | فِي عَصْرِنَا ، وَيَالَهُ مِنْ زَمَنِ
نَرَىٰ بِهِ الْوَسَائِلَ الْعَجِيبَهْ | وَنَسْمَعُ الطَّرَائِقَ الْغَرِيبَهْ
لَـٰكِنْ سَيَبْقَىٰ الْحِفْظُ خَيْرَ مُسْعِفِ | لِلطَّالِبِينَ بَلْ هُوَ الْخِلُّ الْوَفِي
لَوْ رَكَّبُوا الْأَقْرَاصَ فِي عُيُونِنَا | وَأَوْدَعُوا الْحَاسِبَ فِي صُدُورِنَا
لَنْ نَجْنِيَ الْعِلْمَ بِغَيْرِ الْحِفْظِ يَا | بُنَيَّ فَلْتَكُنْ بِهِ مُعْتَنِيَا
وَلْتَنْتَفِعْ بِهَـٰذِهِ الْوَسَائِلِ | مِنْ دُونِ إِسْرَافٍ وَلَا تَوَاكُلِ



مَبْحَثٌ فِي التَّدْوِينِ الرَّسْمِيِّ لِلسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ

وَبَعْدَ أَنْ جَاءَ الْفَتَى الْمَرْوَانِي ... الرَّاشِدُ الْمُسَدَّدُ الرَّبَّانِي

شَاوَرَ أَهْلَ الْعِلْمِ فِي تَدْوِينِ ... سُنَّةِ خَيْرِ خَلْقِهِ الْأَمِينِ

صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مَنْ خَتَمْ ... بِهِ جَمِيعَ الرُّسْلِ وَالْوَحْيَ أَتَمّْ (٢٥٠)

وَكَانَ ذَا الْأَمْرُ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةْ ... يُعِينُهُ فِي ذَلِكُمْ خَيْرُ فِئَةْ

مِنْ تَابِعِي أَصْحَابِ خَيْرِ الرُّسُلِ ... مِثْلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ الْوَلِي

وَابْنِ شِهَابٍ وَكَذَاكَ الْقَاسِمُ ... وَغَيْرُهُمْ، تَحْدُوهُمُ الْعَزَائِمُ

فَأَجْمَعُوا عَلَى كِتَابَةِ السُّنَنْ ... حِفْظًا لَهَا مِنَ الْعَوَادِي وَالْمِحَنْ

وَقِيلَ: إِنَّ ابْنَ شِهَابٍ سَبَقَا ... سِوَاهُ، لَا غَرْوَ يَكُونُ الْأَسْبَقَا

وَأَصْبَحَتْ مَجَالِسُ التَّحْدِيثِ ... تَزْخَرُ بِالتَّدْوِينِ لِلْحَدِيثِ

وَازْدَحَمَتْ بِرُزَمِ الدَّفَاتِرِ ... تَزْدَانُ بِالْأَقْلَامِ وَالْمَحَابِرِ

وَوَصْفُهَا بِـ «سُرُجِ الْإِسْلَامِ» ... يُرْوَى عَنِ ابْنِ حَنْبَلِ الْإِمَامِ

إِظْهَارُهَا عِزٌّ لَدَى الْإِمَامِ ... يَحْيَى، وَعَنْ حَبْرِهِمُ الْهُمَامِ

سُفْيَانَ قَالَ: رَأْسُ مَالٍ كُبَرَا ... مِقْدَارُهُ لَدَى أَئِمَّةِ الْوَرَى (٢٦٠)

أَسْنَدَهَا فِي «الْجَامِعِ» الْخَطِيبُ ... وَهْوَ كِتَابٌ مَاتِعٌ عَجِيبُ

فَالْعِلْمُ لَا بُدَّ مِنَ التَّدْوِينِ لَهْ ... وَهْوَ طَرِيقُ الْحِفْظِ عِنْدَ الْكَمَلَهْ

وَاحْمِلْ عَلَيْهِ الْقَوْلَ عَنْ صِدِّيقِ … فِي «أَبْجَدِ الْعُلُومِ» ذِي التَّدْقِيقِ

وَكُلُّ عِلْمٍ لَيْسَ فِي الْقِرْطَاسِ … يُفْضِي إِلَى الضَّيَاعِ وَالْإِفْلَاسِ

وَقِيلَ : مَا كَتَبْتَهُ تَقَيَّدَا … كَذَاكَ مَا أَهْمَلْتَهُ تَشَرَّدَا

لَكِنْ عَلَى التَّدْوِينِ لَمْ يَتَّكِلُوا … فَحَفِظُوا مَا بِالْيَرَاعِ سَجَّلُوا

وَبَقِيَ الْحِفْظُ دَلِيلَ الطَّالِبِ … بِهِ يَنَالُ غَايَةَ الْمَآرِبِ

مِنْ أَجْلِ هَـٰذَا كَانَ أَقْوَى الْأُسُسِ … فَاحْرِصْ عَلَيْهِ يَا بُنَيَّ وَائْتَسِ

بِالصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ ثُمَّ مَنْ مَضَى … عَلَى الْخُطَى ، فَهْوَ السَّبِيلُ الْمُرْتَضَى

وَاسْمَعْ لِمَا أَسْنَدَهُ الْخَطِيبُ فِي … جَامِعِهِ عَنِ الْإِمَامِ الصَّيْرَفِي

{لَيْسَ بِعِلْمٍ مَا حَوَى الْقِمَطْرُ … مَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا حَوَاهُ الصَّدْرُ

فَذَاكَ فِيهِ شَرَفٌ وَفَخْرُ … وَرُتْبَةٌ جَلِيلَةٌ وَقَدْرُ}

وَجُلُّنَا يَحْفَظُ قَوْلَ الرَّحَبِي … فِي نَظْمِهِ الْمُحَرَّرِ الْمُسْتَعْذَبِ

إِذْ قَالَ وَهْوَ حَافِظٌ هُمَامُ … {فَاحْفَظْ فَكُلُّ حَافِظٍ إِمَامُ}

وَقَالَ عَنْهُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي … أَوَّلِ نَظْمِهِ «الْفَصِيحِ» فَاعْرِفِ

{وَبَعْدُ : فَالْعِلْمُ إِذَا لَمْ يَنْضَبِطْ … بِالْحِفْظِ لَمْ يَنْفَعْ وَمَنْ مَارَى غَلِطْ}

وَهَاكَ يَا بُنَيَّ قَوْلاً سَالِفَا … {يَا أَيُّهَا الْمُضَمِّنُ الصَّحَائِفَا

مَا قَدْ رَوَى يُضَارِعُ الْمَصَاحِفَا … اِحْفَظْ وَإِلَّا كُنْتَ رِيحًا عَاصِفَا}

وَمُودِعُ الْعِلْمِ الْقَرَاطِيسَ يُذَمّْ … مِن دُونِـمَا حِفْظٍ لَدَىٰ أَهْلِ الْهِمَمْ

لَا خَيْرَ فِي عِلْمِ فَتىً لَا يَعْبُرُ … بِهِ - بُنَيَّ - وَادِيًا أَوْ يَعْمُرُ (٣٨٠)

بِهِ النَّوَادِي قَالَهُ الْحَكِيمُ … وَهْوَ كَلَامٌ مُحْكَمٌ قَوِيمُ

وَالْعِلْمُ إِن لَمْ يَدْخُلِ الْحَمَّامَ مَعْ … صَاحِبِهِ فَلَيْسَ عِلْمًا يُنتَفَعْ

بِهِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ فِي الصُّدُورِ … يُحْفَظُ لَا بِالْخَطِّ فِي السُّطُورِ

وَمَا كَتَبْتَ أَيُّهَا الطَّالِبُ فَرّْ … لَٰكِنَّ مَا حَفِظْتَهُ فِي الْقَلْبِ قَرّْ

وَعَكْسُ هَٰذَا قَوْلُ: مَا دُوِّنَ قَرّْ … وَأَنَّ مَا حَفِظْتَهُ - بُنَيَّ - فَرّْ

وَعَزْوُهُ إِلَى الْخَلِيلِ يُبْطِلُهْ … وَاقِعُهُ، وَنَهْجُهُ لَا يَقْبَلُهْ

لِذَٰلِكُمْ مَنْ حَفِظَ الْمُتُونَا … حَازَ - وَيَا لَلشَّرَفِ - الْفُنُونَا

كَذَٰلِكُمْ مَنْ حَفِظَ الْأُصُولَا … فَإِنَّهُ قَدْ ضَمِنَ الْوُصُولَا

وَكُلُّ مَن ضَيَّعَهَا قَدْ حُرِمَا … طِيبَ الْوُصُولِ فَاجْتَهِدْ كَيْ تَغْنَمَا

وَاسْعَ بِجِدٍّ وَاجْعَلَنْ مِخْبَرَتَكْ … أُذْنَيْكَ، وَلْيَكُ الْفُؤَادُ دَفْتَرَكْ (٣٩٠)

فَالْعِلْمُ مَا ثُبِّتَ فِي الْخَوَاطِرِ … وَلَيْسَ مَا أُودِعَ فِي الدَّفَاتِرِ

وَالنَّاسُ فِي الْحِفْظِ ذَوُوا أَحْوَالِ … أَوْجَدَهَا الْعَلِيمُ ذُو الْجَلَالِ

وَكُلُّ مَن يَبْذُلُ جُهْدًا يَجِدُ … تَأْثِيرَهُ بِقَدْرِ مَا يَجْتَهِدُ

فَكَرِّرِ النُّصُوصَ فَالتَّكْرَارُ … خَيْرُ مُعِينٍ، إِذْ بِهِ يُصَارُ

إِلَى اكْتِنَازِ الْعِلْمِ فَهْوَ أَفْضَلُ ... كَنْزٍ، وَفِيهِ مُتْعَةٌ لَا تُعْدَلُ

بِأَيِّ مُتْعَةٍ ، كَمَا قَدْ وَرَدَا ... عَنِ الْهُمَامِ حَافِظِ بْنِ أَحْمَدَا

الْحَكَمِيِّ الْمَذْحِجِيِّ الْمُشْتَهِرْ ... وَمَنْ لَهُ مِنِ اسْمِهِ حَظٌّ سُطِرْ

إِذْ قَالَ فِي لُؤْلُئِهِ الْمَكْنُونِ ... مُوَجِّهًا لِحَافِظِي الْمُتُونِ

{ فَلَا يُمِلَّنَّكَ مَا تَكَرَّرَا ... لَعَلَّهُ يَحْلُو إِذَا تَقَرَّرَا }



شُبْهَةٌ دَاحِضَةٌ

وَبَعْدَ مَا مَضَىٰ مِنَ الْبَيَانِ ... وَاتَّضَحَ الْحَقُّ لِذِي عِرْفَانِ

إِيَّاكَ يَا بُنَيَّ أَن تَنخَدِعَا ... بِشُبْهَةٍ نَسَجَهَا مَنِ ادَّعَىٰ

بِأَنَّ حِفْظَنَا الْمُتُونَ مَضْيَعَهْ ... لِلْوَقْتِ مِن دُونِ اجْتِلَابِ مَنفَعَهْ

دَعْوَاهُمُ أَن يَفْهَمَ الصَّغِيرُ ... مِن دُونِ تَلْقِينٍ بِهِ يَصِيرُ

لِلْعِلْمِ مُبْغِضًا شَرُودَ الْفَهْمِ ... فَالْفَهْمُ وَحْدَهُ طَرِيقُ الْعِلْمِ

وَأَنَّ مَن يَحْفَظُ مِثْلُ الْبَبَّغَا ... وَغَيْرُ هَٰذَا مِنْ هُرَاءٍ وَرُغَا

إِذْ قِيلَ عَنْ حَافِظٍ وَحْيِ الصَّمَدِ ... زِيدَتْ لَدَيْنَا نُسْخَةٌ فِي الْبَلَدِ

قَدْ نَجَحَ الْأَعْدَاءُ فِي إِقْنَاعِنَا ... بِهَٰذِهِ الشُّبْهَةِ فِي أَوْطَانِنَا

وَأَوْهَمُونَا أَنَّ حَمْلَ اللَّقَبِ ... هُوَ دَلِيلُ الْعِلْمِ، يَا لَلْعَجَبِ

مِنْ أَجْلِ أَن يَنشَأَ جِيلٌ جَاهِلُ ... مِنْ حِلْيَةِ الْعِلْمِ الْعَظِيمِ عَاطِلُ

لِذَا رَأَيْنَا زُمَرًا قَدْ حَمَلُوا ... أَعْلَى الشَّهَادَاتِ، وَمَا تَحَمَّلُوا

مِنَ الْعُلُومِ غَيْرَ مَا قَدْ نَقَلُوا ... فِي تِلْكُمُ الْأَبْحَاثِ يَا مَن يَعْقِلُ

إِلَّا الَّذِينَ أَخَذُوا أَنفُسَهُمْ ... بِالْمَنْهَجِ الْأَسْمَىٰ، وَمَا أَقَلَّهُمْ

فَالْحِفْظُ يَا قَوْمُ طَرِيقُ الْفَهْمِ ... ثُمَّ هُمَا مِنْهَاجُنَا فِي الْعِلْمِ

إِذَا سَلَكْنَا مَسْلَكَ التَّدَرُّجِ ... وَتَرْكُهُ هُوَ انتِهَاجُ الْعِوَجِ

هَلْ حَافِظُ الْقُرْآنِ مِثْلُ الْجَاهِلِ بِمَوْضِعِ السُّورَةِ وَالْفَوَاصِلِ
لَا يَعْرِفُ السُّورَةَ حَتَّىٰ يَنظُرَا فِي فِهْرِسِ الْمُصْحَفِ هَـٰذَا إِن دَرَىٰ
مَوْضِعَهَا ، وَرُبَّمَا قَدْ وَعَىٰ مِنَ الْأَغَانِي مَا يُثِيرُ الْعَجَبَا
مَعْ حِفْظِهِ أَسْمَاءَ مَن قَدْ نَعَقُوا بِهَا مِنَ الْأَحْيَاءِ أَوْ مَن سَبَقُوا
إِلَىٰ حَيَاةِ الْخُلْدِ وَالْجَزَاءِ يَا رَبُّ سَلِّمْنَا مِنَ الْبَلَاءِ
وَهَلْ يَكُونُ حَافِظُ الْمَسَائِلِ مِثْلَ فَتًى فِي عِيِّهِ كَبَاقِلِ
لَا تُصْغِ يَا بُنَيَّ لِلْإِرْجَافِ وَلْتَتَّبِعْ مَنَاهِجَ الْأَسْلَافِ
فَمَنْ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ قَدْ سَلَكَا فَذَاكَ مِنْهُمْ فَاتَّخِذْهُ مَسْلَكَا
وَأَخْتِمُ الْفَصْلَ بِـ «نَظْمِ اللُّؤْلُئِي» فَهَاكَهُ مُنَضَّدًا كَاللُّؤْلُؤِ
{اِعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ بِالتَّعَلُّمِ وَالْحِفْظِ وَالْإِتْقَانِ وَالتَّفَهُّمِ
وَالْعِلْمُ قَدْ يُرْزَقُهُ الصَّغِيرُ فِي سِنِّهِ وَيُحْرَمُ الْكَبِيرُ
وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ لَيْسَ بِرِجْلَيْهِ وَلَا يَدَيْهِ
لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ الْمُرَكَّبُ فِي صَدْرِهِ وَذَاكَ خَلْقٌ عَجَبُ
وَالْعِلْمُ بِالْفَهْمِ وَبِالْمُذَاكَرَهْ وَالدَّرْسِ وَالْفِكْرَةِ وَالْمُنَاظَرَهْ
فَرُبَّ إِنسَانٍ يَنَالُ الْحِفْظَا وَيُورِدُ النَّصَّ وَيَحْكِي اللَّفْظَا
وَمَا لَهُ فِي غَيْرِهِ نَصِيبُ مِمَّا حَوَاهُ الْعَالِمُ الْأَدِيبُ

وَرُبَّ ذِي حِرْصٍ شَدِيدِ الْحُبِّ ... لِلْعِلْمِ وَالذُّكْرِ بَلِيدِ الْقَلْبِ

مُعَجَّزٍ فِي الْحِفْظِ وَالرِّوَايَهْ ... لَيْسَتْ لَهُ عَمَّنْ رَوَى حِكَايَهْ

وَآخَرٍ يُعْطَى بِلَا اجْتِهَادِ ... حِفْظًا لِمَا قَدْ جَاءَ فِي الْإِسْنَادِ

يُفِيدُهُ بِالْقَلْبِ لَا بِنَاظِرِهْ ... لَيْسَ بِمُضْطَرٍّ إِلَى قَمَاطِرِهْ}



الفَصْلُ الخَامِسُ

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ شُرُوطِ تَحْصِيلِ العِلْمِ

وَبَعْدَ ذِكْرِ الأُسُسِ المَتِينَهْ ... لَا بُدَّ مِن شُرُوطِهِ المُعِينَهْ

وَإِنَّنِي عَلَى الأَهَمِّ أَقْتَصِرْ ... وَعَن قُصُورٍ فِي البَيَانِ أَعْتَذِرْ

شُرُوطُهُ: قَدْرٌ مِنَ الذَّكَاءِ ... مَا أَبْعَدَ العِلْمَ عَنِ الغَبَاءِ

فَمَنْ حَبَاهُ اللهُ فَهْمًا ثَاقِبَا ... كَانَ شِهَابًا فِي العُلُومِ ثَاقِبَا

وَالبَذْلُ لِلجَهْدِ، مَعَ الحِفَاظِ ... عَلَى الزَّمَانِ مَسْلَكُ الحُفَّاظِ

فَالوَقْتُ أَغْلَى مَا حَبَاكَ المَوْلَى ... حَذَارِ أَن تُضِيعَهُ وَأَوْلَى

وَبِعُلُوِّ الهِمَّةِ اتَّصِفْ، وَلَا ... تُخْلِدْ إِلَى الرَّاحَةِ إِن رُمْتَ العُلَا

لَا يَطْلُبُ العِلْمَ عَشِيرُ الكَسَلِ ... كَلَّا وَلَا مُجَالِسٌ لِلهَمَلِ

كَذَاكَ لَا يَطْلُبُهُ ذُو المَلَلِ ... وَكُلُّ بَطَّالٍ ضَعِيفِ الحِيَلِ

لَا بُدَّ لِلعِلْمِ مِنَ الصَّبْرِ وَمِنْ ... إِتْعَابِكَ الجِسْمَ فَكُن بِذَا قَمِنْ

وَارْحَلْ إِلَى عَوَاصِمِ الأَمْصَارِ ... وَاعْمِدْ إِلَى أَشْيَاخِهَا الكِبَارِ

لَا تَأْخُذِ العِلْمَ عَنِ الصِّغَارِ ... فَإِنَّهُ مَظِنَّةُ الصَّغَارِ

وَلَا تَكُن مُسْتَعْجِلًا فِي الطَّلَبِ ... مَا فَازَ عَجْلَانُ بِنَيْلِ الأَرَبِ

لَا بُدَّ مِن طُولِ الزَّمَانِ فَادْأَبِ ... وَاسْهَرْ عَلَى تَنقِيحِهِ وَنَقِّبِ

لَا يَجْتَنِي ذُو النَّخْلِ مِنْهُ الرُّطَبَا دُونَ انتِظَارٍ نَالَ فِيهِ التَّعَبَا

{العِلْمُ بَحْرٌ مُنتَهَاهُ يَبْعُدُ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ إِلَيْهِ يُقْصَدُ}

{وَلَيْسَ كُلَّ العِلْمِ قَدْ حَوَيْتَهُ أَجَلْ، وَلَا العُشْرَ وَلَوْ أَحْصَيْتَهُ}

{مَا أَكْثَرَ العِلْمَ وَمَا أَوْسَعَهُ مَن ذَا الَّذِي يَقْدِرُ أَن يَجْمَعَهُ}

فَالْتَمِسِ الأَنفَعَ وَالأَهَمَّا وَاصْرِفْ إِلَيْهِ يَا بُنَيَّ الْهَمَّا

وَلْتَبْدَأِ التَّحْصِيلَ فِي مُقْتَبَلِ عُمْرِكَ، وَاحْذَرَنْ لَذِيذَ الأَمَلِ

فَالْحِفْظُ يَا بُنَيَّ فِي سِنِّ الصِّغَرْ يَثْبُتُ كَالنَّقْشِ عَلَىٰ مَتْنِ الحَجَرْ

وَأَنَّ حِفْظَ الْمَرْءِ فِي حَالِ الْكِبَرْ كَالرَّقْمِ فِي الْمَاءِ كَمَا جَا فِي الأَثَرْ

وَإِنْ أَرَدتَ يَا بُنَيَّ الأَخْذَ عَنْ أُولِي الرُّسُوخِ فَاقْصِدَنْ أَهْلَ السُّنَنْ

وَاجْتَنِبِ الأَخْذَ عَنِ الْمُبْتَدِعِ فَرُبَّمَا تُبْلَىٰ بِحُبِّ الْبِدَعِ

قَالَ عَلِيٌّ ذُو التُّقَى اتَّقُوا الْبِدَعْ وَلْتَلْزَمُوا الْمَهْيَعَ فَهْوَ الْمُتَّبَعْ

{وَكُنْ عَلَىٰ نَهْجِ سَبِيلِ السَّلَفِ فِي مُجْمَعٍ عَلَيْهِ أَوْ مُخْتَلَفِ

وَتَابِعِ الصَّالِحَ مِمَّن سَلَفَا وَجَانِبِ الْبِدْعَةَ مِمَّنْ خَلَفَا

فَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَن سَلَفْ وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفْ}

وَالسُّنَّةُ الْغَرَّاءُ مِنْهَاجِي، وَمِنْ طَرِيقِهَا أَجِي، وَحُبُّهَا أَكِنْ

لِذَاكَ لَا بُدَّ مِنَ أَمْرَيْنِ هُمَا حُسْنُ السُّؤَالِ عَنْ خِيَارِ الْعُلَمَا

ثَانِيهِمَا: أن تَسْتَخِيرَ اللهَ فِي الْـ ..... أَخْذِ عَنِ الْأَمْثَلِ مِنْهُمْ فَامْتَثِلْ

وَإِنَّ مِن بَيْنِ رِجَالِ الْعِلْمِ … مَنِ اسْتَفَاضَ فَضْلُهُ فِي الْقَوْمِ

وَكَمُلَتْ فِي عَصْرِهِ أَهْلِيَّتُهْ … وَعُرِفَتْ أَخْلَاقُهُ وَعِفَّتُهْ

وَظَهَرَتْ بَيْنَ الْوَرَىٰ دِيَانَتُهْ … وَاشْتَهَرَتْ لَدَيْهِمُ صِيَانَتُهْ

فَذَا هُوَ الْقُدْوَةُ فَالْزَمْ مَجْلِسَهْ … وَحَقَّهُ احْذَرْ يَا فَتَىٰ أَن تَبْخَسَهْ

وَلَا تَقَيَّدْ بِأُولِي الشُّهْرَةِ فِي … سَمَاعِكَ الْعِلْمَ فَرُبَّ مُخْتَفِ (٤٧٠)

بِالْعِلْمِ مِن ذَوِي الْخُمُولِ أَنفَعُ … لِطَالِبِيهِ، فِي الزَّوَايَا يَقْبَعُ

لَا يَمْنَعَنكَ الْكِبْرُ أَن تَأْخُذَ عَنْ … أَصْغَرَ مِنكَ، فَهْوَ غَبْنٌ فَاعْلَمَنْ

إِن كَانَ مِنكَ بِالْفُنُونِ أَعْلَمَا … وَلِلْمَسَائِلِ الْعِظَامِ أَفْهَمَا

فَقَدْ رَوَىٰ الْأَشْيَاخُ عَن طُلَّابِهِمْ … كَمَا رَوَىٰ الزُّهْرِيُّ عَن مَالِكِهِمْ

وَالْأَخْذُ عَن شَيْخٍ مُشَارِكٍ أَتَمْ … نَفْعًا لِطُلَّابِ الْعُلُومِ وَأَعَمْ

مَن لَمْ يَكُن لَهُ شُيُوخٌ، اجْتَنِبْ … أَخْذَكَ عَنْهُ لَا تَكُن كَالْمُحْتَطِبْ

إِذْ مِن بُطُونِ الْكُتْبِ قَدْ تَفَقَّهَا … كَمَا يَقُولُ الشَّافِعِيُّ ذُو النُّهَىٰ

مَن دَخَلَ الْكُتْبَ وَحْدَهُ خَرَجْ … مِنْهَا - وُقِيتَ - وَحْدَهُ كَمَا وَلَجْ

لَا تَأْخُذِ الْقُرْآنَ عَمَّنْ أَخَذَا … عَن مُصْحَفِيٍّ مِثْلِهِ فَإِنَّ ذَا

كَالْأَخْذِ عَن كُلِّ جَهُولٍ صَحَفِي … مُصَحِّفٍ كَمَا تَلَا فِي الصُّحُفِ (٤٨٠)

فَإِنَّمَا «التَّصْحِيفُ قُفْلٌ ضُلَّا مِفْتَاحُهُ» وَيْحَ الَّذِي أَضَلَّا
ذَلِكُمُ الْمِفْتَاحَ، وَالتَّصْحِيفُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِن كَسُولٍ أَهْمَلَا
شَأْنَ التَّلَقِّي عَنْ أُولِي الْإِتْقَانِ مِمَّنْ عُنُوا بِالنُّسَخِ الْحِسَانِ
وَإِن يَكُن بَعْضُ الْكِبَارِ قَدْ وَقَعْ فِيهِ، فَهَذَا نَادِرٌ مِنْهُمْ، فَدَعْ
مَسَالِكَ الْإِرْجَافِ وَالتَّعْنِيفِ مَن ذَا الَّذِي يَعْرَى مِنَ التَّصْحِيفِ
أَوْ خَطَأٍ، كَمَا يَقُولُ أَحْمَدُ وَهْوَ الْإِمَامُ الْجِهْبِذُ الْمُمَجَّدُ
وَلْتَثْنِ رُكْبَتَيْكَ فِي الْمَسَاجِدِ مُثَافِنًا لِكُلِّ شَيْخٍ مَاجِدِ
وَاخْتَرْ قَرِينًا كَيْ يَشُدَّ أَزْرَكَا وَشُدَّ إِن رُمْتَ الْعُلَى مِئْزَرَكَا
وَاحْرِصْ عَلَى الْبُكْرَةِ وَالتَّبْكِيرِ وَاهْجُرْ لَذِيذَ النَّوْمِ فِي السَّرِيرِ
ثُمَّ أَهِن نَفْسَكَ فِي اطِّلَابِهِ إِن كُنتَ يَا بُنَيَّ مِن طُلَّابِهِ
فَإِنَّهُ إِن تُعْطِهِ كُلَّكَ لَا يُعْطِيكَ إِلَّا بَعْضَهُ، وَنُقِلَا
مَن لَمْ تَكُن مُحْرِقَةً بِدَايَتُهْ تَخَلَّفَتْ عَنِ الضِّيَا نِهَايَتُهْ
وَوَزِّعِ الْأَوْقَاتَ فِي النَّهَارِ وَاللَّيْلِ لِلْحِفْظِ وَالِاسْتِذْكَارِ
وَالْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ وَالْمُطَالَعَهْ وَالْجَمْعِ وَالتَّحْرِيرِ وَالْمُرَاجَعَهْ
وَدَبِّرِ الْمَالَ لِجَلْبِ الْكُتُبِ وَكُلِّ مَا تَحْتَاجُهُ فِي الطَّلَبِ
وَأَخِّرِ الزَّوَاجَ كَيْ تَنقَطِعَا لِأَخْذِكَ الْعِلْمَ، وَعَادِ الشِّبَعَا

أَكْثِرْ مِنَ الصِّيَامِ كَيْ يَكُونَا ... لَكَ عَلَىٰ تَحْصِيلِهِ مُعِينَا

وَقَدْ مَضَىٰ فِي ثَالِثِ الْفُصُولِ مَا ... نَظَمَهُ حَمَّادُ فِي بَيْتٍ سَمَا

{لَمْ تَغْرَبْ ، وَ تَوَاضَعْ ، وَاتْرِعْ ... وَجُعْ، وَهُنْ، وَاعْصِ هَوَاكَ، وَاتَّبِعْ}

(٥٠٠) وَاقْنَعْ مِنَ الْقُوتِ بِمَا تَيَسَّرَا ... ثُمَّ مِنَ اللِّبَاسِ مَا قَدْ سَتَرَا

وَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَا يُنَافِي ... تَجَمُّلَ الْمَرْءِ لَدَى الْأَضْيَافِ

فَرَبُّنَا جَلَّ جَمِيلٌ وَيُحِبُّ ... لَنَا الْجَمَالَ، وَالْمُبَاهَاةَ اجْتَنِبْ

وَلْتَتَحَرَّ الْحِلَّ فِي مَأْكَلِكَا ... ثُمَّ تَقَلَّلْ وَاحْتَرِسْ مِن بَطْنِكَا

فَفِطْنَةُ الْمَرْءِ يُغَطِّيهَا الشِّبَعْ ... وَرِقَّةُ الْقَلْبِ تُوَارِيهَا الْمُتَعْ

وَالْعِلْمُ لَا يُطْلَبُ بِالتَّنَعُّمِ ... وَرَاحَةِ الْجِسْمِ، وَطِيبِ الْمَطْعَمِ

وَقَلِّلِ الْمَنَامَ وَالْكَلَامَا ... وَاجْتَنِبِ الْهَزْلَ كَذَا الْخِصَامَا

وَقَلِّلِ الْمِزَاحَ فَهْوَ إِنْ غَلَبْ ... أَدَّىٰ إِلَىٰ زَرْعِ الشِّقَاقِ وَالْعَتَبْ

وَاسْمُ بِنَفْسِكَ عَنِ التَّأَنُّقِ ... فِي مَلْبَسٍ ، كَذَا عَنِ التَّعَلُّقِ

بِمَا بِهِ يَسْتَمْتِعُ الْأَطْفَالُ ... وَالْفَارِغُونَ الْهَمَلُ الْجُهَّالُ

(٥١٠) مِن تَافِهِ الشَّرَابِ وَالْمَآكِلِ ... فَذَاكَ يُزْرِي بِالْحَصِيفِ الْعَاقِلِ

مِثْلِ الْبَطَاطِسِ وَالِائْتِدَامِ ... بِشَطَّةٍ تَخْنُقُ كَالزُّكَامِ

وَاجْتَنِبَنْ مُشْتَهَيَاتِ النَّفْسِ ... مِمَّا يَضُرُّهَا كَشُرْبِ الْبِبْسِي

لَا تَشْرَبِ الْبِنْسِي وَلَا الْكَكُولَا … ثُمَّ اقْتَصِدْ وَلَا تَكُنْ أَكُولَا

لِكُلِّ مَا تَرْغَبُ مِن طَعَامِ … فَإِنَّهُ مَجْلَبَةُ الْأَسْقَامِ

وَمَا مَضَىٰ مِنْ أَشْهَرِ الْمَشَارِبِ … لِلْمَرَضِ الْعُضَالِ شَرُّ جَالِبِ

فَاغْتَذِ بِالَّذِي حَبَاكَ الْمُنْعِمُ … مِمَّا بِهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ يُنْعِمُ

مِنْ نَافِعِ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ … مُؤْتَسِياً بِأَفْضَلِ الْأَنَامِ

فِي هَدْيِهِ ، صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا … هَبَّ الصَّبَا وَطَائِرٌ تَرَنَّمَا

وَاحْرِصْ عَلَىٰ مَا زَادَ فِي الْحِفْظِ وَمَا … بِهِ نُمُوُّ الْفَهْمِ مِمَّا عُلِمَا

تَأْثِيرُهُ وَنَفْعُهُ كَالْعَسَلِ … وَكَالزَّبِيبِ بُكْرَةً ، وَلْتَسْأَلِ

مَوْلَاكَ أَن يَمْنَحَكَ التَّوْفِيقَا … وَأَن يُسَهِّلَ لَكَ الطَّرِيقَا

إِلَىٰ اكْتِسَابِ الْعِلْمِ وَالْمَعَارِفِ … شَتَّانَ بَيْنَ جَاهِلٍ وَعَارِفِ

وَاحْفَظْهُ جَلَّ شَأْنُهُ يَحْفَظْكَ مَا … حَيِيتَ ، لَا تَعْدِلْ بِذَاكَ مَغْنَمَا

وَهْوَ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ … لِلْبَحْرِ عَبْدِاللهِ حَبْرِ الْأُمَمِ

وَقَدْ أَتَىٰ تَصْحِيحُهُ مُقْتَرِنَا … بِالْحُسْنِ عِندَ التِّرْمِذِيِّ ذِي الْغِنَا

ثُمَّ اغْتَنِمْ مِن قَبْلِ خَمْسٍ خَمْسَا … إِذْ صَحَّ عَمَّن قَدْ أَزَالَ اللَّبْسَا

صَلَّىٰ عَلَيْهِ رَبُّنَا مَا سَبَّحَا … مُسَبِّحٌ وَأَشْرَقَتْ شَمْسُ الضُّحَىٰ

فَاغْتَنِمِ الشَّبَابَ قَبْلَ الْهَرَمِ … وَاغْتَنِمِ الصِّحَّةَ قَبْلَ السَّقَمِ

٥٢٠

كَذَا غِنَاكَ قَبْلَ أن تَفْتَقِرَا ... ثُمَّ الفَرَاغَ قَبْلَ شُغْلٍ يُزْدَرَى

وَاغْتَنِمِ الحَيَاةَ قَبْلَ المَوْتِ ... فَلَيْسَ بَعْدَ المَوْتِ غَيْرُ الفَوْتِ (٥٤٠)

وَهْوَ عَنِ البَحْرِ أَتَى ، وَصَحَّحَا ... حَاكِمُهُمْ إِسْنَادَهُ، وَصَرَّحَا

بِذَاكَ حَافِظُ الزَّمَانِ ابْنُ حَجَرْ ... وَكَمْ مِنَ الصَّخْرِ تَفَجَّرَ النَّهَرْ

وَبَعْدَ ذَاكَ يُسْأَلُ الخَلَائِقُ ... عَنْ أَرْبَعٍ ، وَتُكْشَفُ الحَقَائِقُ

يُسْأَلُ كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ عُمُرِهْ ... فِيمَ قَضَاهُ ، وَهْوَ سِرُّ خَبَرِهْ

كَذَلِكُمْ عَنْ عِلْمِهِ سَيُسْأَلُ ... هَلْ كَانَ فِي دُنْيَاهُ حَقًّا يَعْمَلُ

ثُمَّ عَنِ المَالِ الَّذِي قَدْ كَسَبَهْ ... مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ الضَّعِيفُ اكْتَسَبَهْ

وَفِيمَ فِي دَارِ الفَنَاءِ أَنْفَقَهْ ... وَمَا الَّذِي فِي سَعْيِهِ قَدْ حَقَّقَهْ

وَفِيمَ أَبْلَى جِسْمَهُ ، هَلْ كَانَ فِي ... دَرْبِ الهُدَى أَوِ الضَّيَاعِ المُؤْسِفِ

قَدْ صَحَّ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي ... بَرْزَةَ ذِي الذِّكْرِ الحَمِيدِ الطَّيِّبِ

هَلْ بَعْدَ ذَا يَحْسُنُ أَن تُضَيِّعَا ... شَرْخَ الشَّبَابِ لَاهِيًا مُسْتَمْتِعَا (٥٥٠)

كَمَن رَضُوا بِالهُونِ وَالقُعُودِ ... فِي طُرُقَاتِ النَّاسِ كَالقُرُودِ

وَكَمْ تَرَى مَن لِلَّبَانِ يَعْلِكُ ... دَوْمًا وَفِي كُلِّ طَرِيقٍ يَسْلُكُ

أَوْ يَقْرِضُ الفِصْفِصَ قَرْضَ الفَارِ ... وَهَمُّهُ تَتَبُّعُ السُّمَّارِ

تَرَاهُ دَوْمًا عَابِثًا بِالمِسْبَحَهْ ... هَلْ ذَكَرَ اللهَ عَلَا أَوْ سَبَّحَهْ

وَكُلُّ شَاخِصٍ يَرَىٰ صُورَتَهُ ... بِهِ، تَمَطَّىٰ مُصْلِحًا غُتْرَتَهُ

وَقَوَّمَ الْعِقَالَ وَالْمِرْزَامَا ... وَزَيَّنَ الْأَزْرَارَ وَالْأَكْمَامَا

كَمْ ضَيَّعَ الْفَارِغُ مِنْ أَوْقَاتِ ... عِنْدَ وُقُوفِهِ لَدَىٰ الْمِرْآةِ

بَلْ قَدْ أَضَاعَ مَا لَهُ اللهُ وَهَبْ ... مِنْ صِحَّةٍ وَمِنْ فَرَاغٍ وَنَشَبْ

وَذَاكَ وَاللهِ هُوَ الْمَغْبُونُ ... أَخْبَرَ عَنْهُ الصَّادِقُ الْمَأْمُونُ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا ازْدَانَ الثَّمَرْ ... وَمَا تَبَدَّىٰ فِي لَيَالِينَا الْقَمَرْ

مَنْ هَـٰذِهِ صِفَاتُهُ لَا يَصْلُحُ ... لِلْعِلْمِ لَوْ كَانَ ذَكِيًّا يُمْدَحُ

فَكَيْفَ مَنْ كَانَ بَلِيدًا جَانِحَا ... لِلَّهْوِ، فِيهِ غَادِيًا وَرَائِحَا



الْبَابُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الطَّالِبِ وَالْمُعَلِّمِ، وَعَوَائِقِ الطَّلَبِ

وَفِيهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ:

الْفَصْلُ الأَوَّلُ: فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الطَّالِبِ مَعَ شَيْخِهِ

تَوْطِئَةٌ

وَبَعْدَ إِيرَادِ أَهَمِّ الأُسُسِ ... فِي الأَخْذِ عَنْ كُلِّ فَقِيهٍ كَيِّسِ

وَذِكْرِ جُمْلَةٍ مِنَ الشُّرُوطِ فِي ... تَحْصِيلِهِ، أَذْكُرُ مَا بِهِ يَفِي

مَنْهَجُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي التَّعْلِيمِ ... مُقْتَرِناً بِالْمَسْلَكِ الْقَوِيمِ

وَهُوَ الَّذِي سُمِّيَ بِالآدَابِ ... بَيْنَ الْمُعَلِّمِينَ وَالطُّلَّابِ

وَتِلْكَ الآدَابُ بِهَا تَأَدَّبَا ... أَسْلَافُنَا وَأَوْدَعُوهَا الْكُتُبَا

كَأَدَبِ الطَّالِبِ فِي التَّلَقِّي ... عَنْ شَيْخِهِ، وَمَا لَهُ مِنْ حَقِّ

عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدَبِ الطُّلَّابِ ... بَيْنَهُمُ، وَبَعْضُ ذِي الآدَابِ

يَخْتَصُّ بِالشَّيْخِ وَبَعْضٌ يَشْمَلُ ... حَقَّ الْجَمِيعِ فَادْرِ مَا أُفَصِّلُ

مُبْتَدِئاً بِذِكْرِ مَا لِلشَّيْخِ مِنْ ... حَقٍّ عَلَى طُلَّابِهِ بِهِ قَمِنْ

وَذَاكَ حَقٌّ وَاسِعُ الأَبْوَابِ ... يَعْجِزُ عَنْهُ أَكْثَرُ الطُّلَّابِ

★ ★ ★

٢٠٥

اِحْتَرِمِ الشَّيْخَ ، وَبَجِّلْهُ ، وَلَا ... تَنْسَ لَهُ فَضْلاً ، وَأَعْلِنْ فِي الْمَلَا

تَوْقِيرَهُ وَمَا لَهُ مِن فَضْلِ ... فَذَاكَ مِن شِيمَةِ أَهْلِ النُّبْلِ

وَاصْبِرْ عَلَى جَفْوَتِهِ ، وَلْتَدْعُ لَهْ ... مَن ذَا الَّذِي مِنَّا الْعَلِيمُ كَمَّلَهْ

إِلَّا الَّذِي بِوَحْيِهِ قَدْ أَكْرَمَهْ ... فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ عَصَمَهْ

صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَيْهِ اللهُ مَا ... نَوْرٌ تَفَتَّحَ وَمَا وَدْقٌ هَمَى

وَوَاجِبٌ أَن تَخْفِضَ الْجَنَاحَا ... لِلشَّيْخِ كَيْ تَدَّرِعَ الْفَلَاحَا

وَقُلْ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ... لِخَلَفِ الْأَحْمَرِ قَوْلاً يُحْمَدُ

وَهْوَ « لَا أَقْعُدُ إِلَّا بَيْنَا ... يَدَيْكَ يَا شَيْخُ كَذَا أُمِرْنَا » (٥٧٠)

أَيْ : بِالتَّوَاضُعِ لِمَنْ عَلَّمَنَا ... وَبِكَرِيمِ الْقَوْلِ قَدْ أَدَّبَنَا

وَشَاوِرَنْهُ فِي الْأُمُورِ ، وَلْتَرُمْ ... رِضَاهُ ، وَاسْتَرْشِدْهُ دَوْمًا ، وَلْتَقُمْ

بَيْنَ يَدَيْهِ سَائِلاً عَنْ حَاجَتِهْ ... مُسَارِعًا إِلَى قَضَاءِ طِلْبَتِهْ

وَإِن يُشِرْ عَلَيْكَ أَن تَتَّبِعَا ... طَرِيقَةً فِي الْعِلْمِ كَيْ تَنْتَفِعَا

بِهَا ، فَلَبِّ وَاشْكُرَنْ صَنِيعَهُ ... فَالْكَيْسُ كُلُّ الْكَيْسِ أَنْ تُطِيعَهُ

وَانْقَدْ لَهُ انْقِيَادَ مُوسَى لِلْخَضِرْ ... عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَا قَوْلٌ سُطِرْ

وَلْيَكُنِ الْخِطَابُ بِالتَّعْظِيمِ ... مُقْتَرِنًا دَوْمًا وَبِالتَّكْرِيمِ

فَلَا تُخَاطِبْهُ بِـ«تَا» الْخِطَابِ ... وَالْكَافِ ، وَاحْرِصَنْ عَلَى الْآدَابِ

أَيْ لَا تَـقُلْ : إِنَّكَ ، أَوْ أَنتَ ، وَلَا   اِسْمَعْ ، وَقُـلْ ، لَا سِيَّمَا بَيْنَ الْمَلَا

وَقُلْ لَهُ كَمَا حَكَى الْخَطِيبُ   يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ وَالْأَرِيبُ

أَوْ مَا تَقُولُونَ بِتِلْكَ الْمَسْأَلَهْ   فَإِنَّ هَـٰذَا أَدَبٌ مَا أَجْمَلَهْ

وَالرَّفْعَ لِلصَّوْتِ احْذَرَنْ بِحَضْرَتِهْ   فَقَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِنَفْرَتِهْ

وَبَادِرَنْ بِالِاعْتِذَارِ إِن بَدَرْ   مِنكَ قُصُورٌ نَحْوَهُ ، فَاحْرِصْ تَبَرّْ

وَذُبَّ عَنْهُ إِن سَمِعْتَ أَحَدَا   يَغْتَابُهُ ، وَرُدَّ عَنْهُ الْفَنَدَا

وَدَارِهِ وَبَالِغَنْ فِي شُكْرِهِ   وَلْتُفْشِ فِي النَّاسِ عَظِيمَ قَدْرِهِ

وَادْخُلْ عَلَيْهِ بَعْدَ الِاسْتِئْذَانِ   مُرَاعِيًا لِحُرْمَةِ الْمَكَانِ

لَا تَدْخُلَنْ مُتَّسِخَ الثِّيَابِ   أَوْ شَعِثًا كَهَيْئَةِ الْأَعْرَابِ

وَلْتَأْتِ فَارِغًا مِنَ الشَّوَاغِلِ   مِنْ أَجْلِ فَهْمِ دُرَرِ الْمَسَائِلِ

وَدَعْ بُنَيَّ مَا يُنَافِي الْأَدَبَا   فِي دَرْسِهِ كَوَسَنٍ وَالثُّؤَبَا

لَا تُضْجِرِ الشَّيْخَ وَكُن فِي الطَّلَبِ   مِثْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَفِيعَ الْأَدَبِ

عَلَيْهِ رِضْوَانُ الْمُهَيْمِنِ الْأَحَدْ   مَا هَبَّتِ الرِّيحُ وَمَا الْغَيْمُ انْعَقَدْ

وَاجْلِسْ أَمَامَهُ بِأَكْمَلِ الْأَدَبْ   مُسْتَمِعًا فِي رَغَبٍ وَفِي رَهَبْ

لَا تُكْثِرِ التَّحْدِيقَ وَالتَّلَفُّتَا   وَلَا تُرَاقِبْ خَارِجًا أَوْ مَنْ أَتَى

{كَذَاكَ أَيْضًا أَغْلِقِ الْجَوَّالَا   وَلَا تُجَاوِبْهُ وَلَوْ تَتَالَىٰ}

وَاسْتَجْمِعِ الْعَقْلَ لِفَهْمِ الدَّرْسِ ... وَلَا تُفَكِّرْ فِي غَدٍ أَوْ أَمْسِ

إِنَّ شُرُودَ الْبَالِ لَا يَنْتَفِعُ ... بِعِلْمِ شَيْخِهِ وَلَا يَسْتَمْتِعُ

وَاحْذَرْ مِنَ الْعَبْثِ بِالثِّيَابِ ... وَمَا يُنَافِي مَسْلَكَ الْآدَابِ

كَعَبَثٍ بِلِحْيَةٍ وَالْأَنْفِ ... وَالنَّفْضِ لِلْكُمِّ وَفَرْكِ الْكَفِّ

وَقَرْعِ سِنٍّ، ثُمَّ مَدِّ الرِّجْلِ ... تُجَاهَهُ، وَضَحِكٍ وَالتَّفْلِ

وَالِامْتِخَاطَ احْذَرْهُ وَالتَّنَحْنُحَا ... بِحَضْرَةِ الشَّيْخِ كَذَا أَنْ تُصْلِحَا

مَا مِنْهُ يَسْتَحْيِي أُولُو الْمَكَارِمِ ... مِن كُلِّ خَارِمٍ مِنَ الْخَوَارِمِ

وَاخْرُجْ مِنَ الدَّرْسِ إِذَا مَا احْتَجْتَا ... مِنْهَا لِشَيْءٍ، فَإِنِ اسْتَأْذَنْتَا

لَا تَجْعَلِ الشَّيْخَ وَرَاءَ ظَهْرِكَا ... فَإِنَّ ذَا مُنْتَقِصٌ مِن قَدْرِكَا

لَا تَجْعَلَنْ يَدَيْكَ خَلْفَكَ وَلَا ... إِزَاءَ جَنْبَيْكَ وَعِشْ مُمْتَثِلَا

لِهَدْيِ مَنْ أَنْقَذَنَا بِشِرْعَتِهْ ... إِلَهُنَا وَبِاتِّبَاعِ سُنَّتِهْ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا تَنَفَّسَا ... صُبْحٌ، وَمَا اللَّيْلُ الْبَهِيمُ عَسْعَسَا

وَالِاتِّكَاءَ احْذَرْ وَالِاسْتِلْقَاءَا ... وَالِاسْتِنَادَ دَعْ وَالِاحْتِبَاءَا

كَذَلِكَ التَّشْبِيكُ بِالْأَصَابِعِ ... وَلَا تُقَاطِعْهُ وَلَا تُنَازِعِ

وَلْتَحْتَرِزْ مِن كُلِّ مَا قَدْ يُغْضِبُهْ ... وَاحْرِصْ عَلَى كُلِّ جَمِيلٍ يُعْجِبُهْ

★ ★ ★

وَخَـمِّرَنْ وَجْـهَكَ إن عَطَسْتَا ... مَعْ خَفْضِكَ الصَّوْتَ ، وَأَنَّى كُنتَا (٢١٠)

فَاخْرِصْ -فَدَيْتُكَ- عَلَىٰ ذَا الأَدَبِ ... وَاكْظِمْ لَدَىٰ تَـثَاؤُبٍ ، وَلْتَدْأَبِ

عَلَىٰ التَّـقَيُّدِ بِأَنْـوَاعِ السُّنَنْ ... وَلْتَحْمَدِ اللهَ عَلَىٰ فَيْضِ الْمِنَنْ

وَسَلِّمَنْ عَلَى الْحُضُورِ كُلِّهِمْ ... إِذَا دَخَلْتَ وَاخْصُصَنْ مِن بَيْنِهِمْ

شَيْخَكَ بِالسَّلَامِ وَالتَّحِيَّةْ ... لِـمَـا لَـهُ مِن رُتْبَةٍ عَلِيَّةْ

وَلَا تُـحَدِّثْ أَحَـداً بِحَضْرَتِـهْ ... فَإِنَّ هَـٰـذَا سَبَبٌ لِجَـفْوَتِـهْ

وَلْـتَحْـذَرِ السَّبْـقَ إِلَىٰ الْجَوَابِ ... وَلَا تُـجَادِلْهُ لَدَىٰ الْخِطَابِ

وَلَا تُـرَدِّدْ مَا يَـقُولُ ، وَاحْـذَرِ ... إِظْـهَارَ عِلْمِكَ بِـهِ ، وَانـتَظِرِ

إِكْمَالَهُ الْحَدِيثَ دُونَ ضَجَرِ ... فَـإِن تَضَجَّرْتَ لِذَا فَاسْتَغْفِرِ

وَلَا تُـخَطِّئْهُ لَدَىٰ الطُّـلَّابِ ... وَاكْتُبْ لَهُ الصَّوَابَ فِي خِطَابِ

مُضَمَّخاً بِـعَاطِـرِ الثَّنَاءِ ... تَكُـنْ بِذَاكَ ظَـاهِـرَ الْوَفَاءِ (٢٢٠)

وَاسْمَعْ كَلَامَ اللُّؤْلُئِيِّ إِذْ نَظَـمْ ... مِنَ الْعِظَاتِ مَا بِهِ بُـرْءُ السَّقَـمْ

{وَإِن بَـدَتْ بَيْنَ أُنَـاسٍ مَسْأَلَهْ ... مَعْرُوفَـةٌ فِي الْعِلْمِ أَوْ مُـفْتَـعَلَهْ

فَلَا تَكُـنْ إِلَىٰ الْـجَوَابِ سَابِقَا ... حَتَّىٰ تَرَىٰ غَيْـرَكَ فِيـهَا نَاطِـقَا

فَـكَمْ رَأَيْتُ مِنْ عَجُولٍ سَابِـقِ ... مِنْ غَيْـرِ فَهْمٍ بِالْخِـطَاءِ نَاطِـقِ

أَزْرَىٰ بِـهِ ذَلِكَ فِي الْمَجَالِسِ ... عِنْدَ ذَوِي الأَلْـبَابِ وَالتَّـنَافُسِ

وَالصَّمْتُ فَاعْلَمْ بِكَ حَقًّا أَزْيَنُ ... إِنْ لَمْ يَكُنْ عِندَكَ عِلْمٌ مُتْقَنُ
وَقُلْ إِذَا أَعْيَاكَ ذَاكَ الأَمْرُ ... مَا لِي بِمَا تَسْأَلُ عَنْهُ خُبْرُ
فَذَاكَ شَطْرُ العِلْمِ عِندَ العُلَمَا ... كَذَاكَ مَا زَالَتْ تَقُولُ الحُكَمَا
إِيَّاكَ وَالعُجْبَ بِفَضْلِ رَأْيِكَا ... وَاحْذَرْ جَوَابَ القَوْلِ مِنْ خِطَائِكَا
كَمْ مِن جَوَابٍ أَعْقَبَ النَّدَامَهْ ... فَاغْتَنِمِ الصَّمْتَ مَعَ السَّلَامَهْ} ٢٢٠
وَهَـٰذِهِ الآدَابُ لَيْسَتْ تُلْتَمَسْ ... إِلَّا مِنَ الشَّيْخِ فَمِنْهُ يُقْتَبَسْ
اَلْهَدْيُ وَالسَّمْتُ وَالِاقْتِدَاءُ ... وَالْمَنْهَجُ الْمُسَدَّدُ الْبَنَّاءُ
فَأَدِّ مَا تَسْطِيعُ مِنْ حُقُوقِهِ ... وَلْتَحْتَرِسْ بُنَيَّ مِنْ عُقُوقِهِ
وَلْتَمْشِ خَلْفَهُ، وَقَدِّمْ نَعْلَهُ ... إِلَيْهِ تَقْدِيرًا لَهُ، وَاحْمِلْ لَهُ
حَاجَتَهُ إِلَّا إِذَا مَا امْتَنَعَا ... فَأَرْضِهِ مُرَدِّدًا لَهُ الدُّعَا
وَبَعْدَ مَوْتِهِ تَعَاهَدْ أَهْلَهُ ... بِالْبِرِّ وَالإِحْسَانِ، ثُمَّ كُن لَهُ
خَلِيفَةً فِي نَشْرِكَ الْعِلْمَ، وَلَا ... تَبْغِ بِذَاكَ مَا حَيِيتَ بَدَلَا
وَكُلُّ مَن بِذَا السُّلُوكِ الْتَزَمَا ... يُسْلَكُ حَقًّا فِي عِدَادِ العُلَمَا
إِن يَبِنَّ عِلْمِهِمْ وَهَدْيِهِمْ جَمَعْ ... وَهْوَ طَرِيقُ السَّالِفِينَ الْمُتَّبَعْ
مَن قَالَ عَنهُمْ شَيْخُنَا عَدُّودُ ... لَا زَالَ مِن مَعِينِهِ يَجُودُ ٢٣٠
بِدُرَرٍ مِن نَظْمِهِ الَّذْ يُبْدِعُهْ ... وَمِنْ خَزَائِنِ البَيَانِ يُطْلِعُهْ

{ رَبَّى ابْنَ مَسْعُودٍ مُقِيمُ الْمِلَّهْ ... فَكَانَ يَحْكِي هَدْيَهُ وَدَلَّهْ

وَكَانَ عَلْقَمَةُ لِابْنِ أُمْ ... عَبْدٍ كَهَـٰذَا لِلنَّبِيِّ الْأُمِّي

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَحْكِي عَلْقَمَهْ ... وَامَا لَهُ مِن نَسَبٍ مَا أَكْرَمَهْ

وَكَانَ مَنصُورٌ لِإِبْرَاهِيمَا ... كَذَاكَ يَحْكِي هَدْيَهُ الْقَوِيمَا

وَكَانَ سُفْيَانُ بِلَا قُصُورِ ... مُشَبَّهاً بِشَيْخِهِ مَنصُورِ

وَهَـٰكَذَا أَيْضًا وَكِيعٌ كَانَا ... مُشَبَّهاً بِشَيْخِهِ سُفْيَانَا

وَكَانَ أَحْمَدُ لَدَى الْجَمِيعِ ... مُشَبَّهاً بِشَيْخِهِ وَكِيعِ

كَذَا أَبُو دَاوُدَ عِندَ الْكُمَّلِ ... مُشَبَّهاً بِأَحْمَدَ بْنِ حَنبَلِ

حَشَرَنَا اللَّهُ مَعَ الْجَمِيعِ ... تَحْتَ لِوَاءِ أَحْمَدَ الشَّفِيعِ

صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى ... أَصْحَابِهِ وَآلِهِ اللَّهُ عَلَا }



الْفَصْلُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الطَّالِبِ فِي نَفْسِهِ

وَأَهَمِّ الْآدَابِ الَّتِي يَنْبَغِي أَن يَتَعَامَلَ بِهَا الطُّلَّابُ بَيْنَهُمْ، وَتَرْكِ مَا يُنَاقِضُهَا وَفِيهِ مَطْلَبَانِ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الطَّالِبِ فِي نَفْسِهِ.

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ ابْتِغَاءَ الْخَالِقِ ... دَعْ مَا يُنَافِيهِ مِنَ الْبَوَائِقِ

وَسَائِرِ الْآثَامِ وَالْمَعَاصِي ... فَالنُّورُ لَا يُؤْتَاهُ قَلْبُ الْعَاصِي

وَأَخْلِصِ النِّيَّةَ لِلرَّحْمَٰنِ ... فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبَانِ

فَـ«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» ... كَمَا أَتَى فِي كُتُبِ الْأَثْبَاتِ

عَنِ النَّبِيِّ الْخَاتَمِ الْمُخْتَارِ ... صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْبَارِي

وَطَهِّرَنْ قَلْبَكَ مِن دَاءِ الْحَسَدْ ... وَدَاوِهِ دَوْماً بِحُسْنِ الْمُعْتَقَدْ

فَبِصَلَاحِ الْقَلْبِ يَصْلُحُ الْجَسَدْ ... عَنْ خَاتَمِ الرُّسْلِ الْكِرَامِ قَدْ وَرَدْ

وَامْتَثَلَتْهُ سَائِرُ الْجَوَارِحِ ... وَتِلْكُمُ مِنْ أَعْظَمِ الْمَنَائِحِ

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النُّعْمَانِ ... قَدْ جَاءَ، وَهْوَ وَاضِحُ الْبُرْهَانِ

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَبِالتَّوَاضُعِ ... وَالزُّهْدِ فِي بَهَارِجِ الْمَطَامِعِ

وَلْتَتَحَلَّ يَا بُنَيَّ بِالْوَرَعْ ... فَلَيْسَ مِثْلَهُ عِلَاجٌ لِلطَّمَعْ

٢٢٠

وَاعْصِ الْهَوَى فَإِنَّهُ لِلطَّالِبِ ... مَزَلَّةٌ لِأَكْثَرِ الْمَثَالِبِ

وَلْيَكُ صَدْرُكَ سَلِيمًا وَاحْتَرِسْ ... مِنَ اللِّسَانِ فَهْوَ غَدَّارٌ دَنِسْ

إِلَّا إِذَا أَلْجَمْتَهُ بِالْوَرَعِ ... وَالْخَوْفِ مِن مَوْلَاكَ يَوْمَ الْفَزَعِ

تَاللهِ قَدْ أَوْرَدَنَا الْمَهَالِكَا ... حَتَّى سَلَكْنَا سُبْلَهَا الْحَوَالِكَا

يَارَبِّ سَلِّمْنَا مِنَ الْجَوَارِحِ ... وَعَافِنَا مِن كُلِّ إِثْمٍ فَادِحِ

وَاجْتَنِبِ الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَا ... إِلَّا لِدَحْضِ بَاطِلٍ قَدْ صَالَا

بِهِ مُعَانِدٌ، فَبَيِّنِ الدَّخَلْ ... وَأَظْهِرِ الزَّيْفَ، وَوَضِّحِ الْخَلَلْ

تَحَلَّ يَا بُنَيَّ بِالْإِنصَافِ ... فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَوْصَافِ

وَفِي الرُّجُوعِ يَا فَتَى لِلْحَقِّ ... نَيْلُ رِضَا الْخَالِقِ ثُمَّ الْخَلْقِ

تَجَمَّلَن بِالْهَدْيِ وَالسَّمْتِ الْحَسَنْ ... مُحَافِظًا عَلَى شَعَائِرِ السُّنَنْ

فِي مَطْعَمٍ، وَمَشْرَبٍ، وَمَلْبَسٍ ... وَمَرْكَبٍ، وَبِالنَّبِيِّ فَأْتَسِ

فِي كُلِّ مَا تَأْتِي وَكُلِّ مَا تَذَرْ ... صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا سَحَّ الْمَطَرْ

تَكُن بِذَا فِي عَارِفِيكَ مُقْتَدَى ... بِهِ، وَدَاعِيًا إِلَى نَهْجِ الْهُدَى



المَطْلَبُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ الآدَابِ الَّتِي يَتَعَامَلُ بِهَا الطُّلَّابُ بَيْنَهُمْ، وَتَرْكِ مَا يُنَاقِضُهَا

سَلِّمْ بُنَيَّ إِنْ دَخَلْتَ، وَارْفَعَا ... صَوْتَكَ بِالسَّلَامِ حَتَّى يُسْمَعَا

وَالشَّيْخَ فَلْتَخْصُصْهُ بِالتَّوْقِيرِ ... كَمَا مَضَى، لِحَقِّهِ الْكَبِيرِ

كَـ«كَيْفَ حَالُ شَيْخِنَا» وَ«أَمْتَعَا ... بِكُمْ إِلَـٰهِي الطَّالِبِينَ» مُسْمِعَا

هَـٰذَا الْكَلَامَ الْحَاضِرِينَ وَلْتَذَرْ ... ذَلِكَ فِي الدَّرْسِ فَفِعْلُهُ هَذَرْ

وَلْتَجْتَنِبْ تَخَطِّيَ الرِّقَابِ ... إِلَّا لِمُقْنِعٍ مِنَ الْأَسْبَابِ

كَأَنْ تَكُونَ نَابِغًا فِي الطَّلَبِ ... وَقَالَ شَيْخُكَ اقْتَرِبْ، فَاقْتَرِبِ

وَاحْذَرْ بُنَيَّ أَنْ تُقِيمَ مَنْ سَبَقْ ... لِمَجْلِسٍ فَإِنَّهُ بِهِ أَحَقّْ

فَالنَّهْيُ عَنْ هَـٰذَا رَوَاهُ ابْنُ عُمَرْ ... وَفِي الصَّحِيحَيْنِ تَلَقَّتْهُ الزُّمَرْ

وَكَوْنُهُ بِهِ أَحَقُّ مُسْنَدُ ... فِي مُسْلِمٍ إِلَى ابْنِ صَخْرٍ يَصْعَدُ

لَا تَقْبَلَنْ إِيثَارَ مَنْ يُؤْثِرُكَا ... إِلَّا إِذَا الشَّيْخُ بِذَا يَأْمُرُكَا

إِمَّا لِفَضْلٍ فِيكَ أَوْ لِسِنِّكَا ... أَوْ لِانْتِفَاعٍ يَا فَتَى بِعِلْمِكَا

وَاجْتَنِبِ التَّفْرِيقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ ... لِنَهْيِ مَنْ قَدْ خُصَّ بِالْوَحْيَيْنِ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا بَرْقٌ لَمَعْ ... فِي حِنْدِسِ اللَّيْلِ وَمَا نُورٌ سَطَعْ

فَإِنْ هُمَا قَدْ أَذِنَا فَلَا حَرَجْ ... فَصَاحِبُ الْحَقِّ قَرِينٌ لِلْفَلَجْ

وَكُن مُعِينًا لِزَمِيلِ الطَّلَبِ ... إن كَانَ ذَا حِرْصٍ ، وَمِنْهُ اقْتَرِبِ (٦٩٠)

وَإِن تَكُن مَعْ رُفَقَاءَ فِي الطَّلَبْ ... فَاجْتَمِعُوا فِي جِهَةٍ فَهْوَ أَحَبْ

إِلَىٰ فُؤَادِ الشَّيْخِ حَيْثُ يَرْمُقُ ... إِلَيْكُمُ، وَبَيْنَكُمْ لَا يُفَرِّقُ

وَلَا يَخُصُّ أَحَدًا دُونَ أَحَدْ ... فَلْتَظْفَرُوا بِذَا الْجِوَارِ وَالرَّشَدْ

فَغَيْرُكُمْ فِي التِّيهِ يَمْرَحُونَا ... وَفِي بِحَارِ الْجَهْلِ يَسْبَحُونَا

وَإِنَّ مِنْ حَقِّ رِفَاقِ الطَّلَبِ ... تَوْقِيرَهُمْ وَنُصْحَهُمْ فِي أَدَبِ

مُرَاعِيًا مَكَانَةَ الْأَقْرَانِ ... وَرُفَقَاءِ الدَّرْبِ وَالزَّمَانِ

وَوَسَطَ الْحَلْقَةِ لَا تَجْلِسْ ، وَلَا ... تَقْعُدْ أَمَامَ جَالِسٍ بِهَا بِلَا

ضَرُورَةٍ تَنجُرُ كَالزِّحَامِ ، أَوْ ... ضِيقِ مَكَانٍ ، أَوْ لِزُوَّارٍ أَتَوْا

وَإِن رَأَيْتَ طَالِبًا مُغْتَرِبًا ... فَابْتَدِرَنْهُ قَائِلاً : يَا مَرْحَبَا

بِمَنْ أَتَىٰ يَطْلُبُهُ مُبْتَغِيَا ... وَجْهَ الَّذِي يَعْلَمُ مَا قَدْ خَفِيَا (٧٠٠)

وَإِن يَكُونُوا عَدَدًا فَوَسِّعُوا ... بِمَجْلِسِ الدَّرْسِ لَهُمْ، وَجَمِّعُوا

أَعْضَاءَكُمْ كَمِثْلِ ضَمِّ الرُّكَبِ ... وَقَدِّمِ لِأُخْتِهَا ، وَاقْتَرِبِ

مِن جَارِكَ الْأَدْنَىٰ إِلَىٰ الْيَمِينِ ... أَوِ الشِّمَالِ فُزْتَ بِالْيَقِينِ

وَكُن وَقُورًا وَاحْتَرِزْ مِن كُلِّ مَا ... يُؤْذِي الْجَلِيسَ ، كَيْ تُرَىٰ مُحْتَرَمَا

وَلَا تَكُن مِثْلَ الْبَعِيرِ الْأَجْرَبِ ... أَوْ ضُحْكَةً تُنمَىٰ لِجِيلٍ أَشْعَبِ

لَا تَشْغَلِ الشَّيْخَ بِمَا لَا يَحْسُنُ   فِي الدَّرْسِ فَهْوَ عَمَلٌ مُسْتَهْجَنُ

كَمَنْ يُنَادِي طَالِبًا فِي الدَّرْسِ   أَوْ يَشْغَلُ الشَّيْخَ بِدَرْسِ الْأَمْسِ

وَكُلُّ مُولَعٍ بِحُبِّ الثَّرْثَرَهْ   فَهْوَ حَرِيٌّ يَا فَتَى أَن تَحْقِرَهْ

وَالدَّرْسُ لَا يُقْطَعُ بِالسَّفْسَافِ   فَكُن بِهِ مُوَطَّأَ الْأَكْنَافِ

{فَالْتَمِسِ الْعِلْمَ وَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبْ   وَالْعِلْمُ لَا يَحْسُنُ إِلَّا بِالْأَدَبْ (٧١٠)

وَالْأَدَبُ النَّافِعُ حُسْنُ السَّمْتِ   وَفِي كَثِيرِ الْقَوْلِ بَعْضُ الْمَقْتِ}

نَظَمَ هَـٰذَا اللُّؤْلُئِيُّ فَادْعُوَنْ   لَهُ، وَلِلْأَعْلَامِ فِي كُلِّ زَمَنْ

وَلَا تَقُمْ بِأَيِّ أَمْرٍ دُونَ أَنْ   تَسْتَأْذِنَ الشَّيْخَ فَكُن بِذَا قَمَنْ

وَإِن تَعَدَّى فِي الْخِصَامِ طَالِبُ   عَلَى أَخِيهِ يَا فَتَى فَالْوَاجِبُ

إِسْنَادُ زَجْرِهِ إِلَى الشَّيْخِ فَمَا   يَرَاهُ كَانَ لِلْجَمِيعِ مُلْزِمَا

وَإِنْ إِلَى الشَّيْخِ أَسَاءَ الْأَدَبَا   فَرْدٌ فَزَجْرُهُ يَقِينًا وَجَبَا

فَنُصْرَةُ الشَّيْخِ بِلَا ارْتِيَابِ   وَاجِبَةٌ حَتْمًا عَلَى الطُّلَّابِ

وَالْغَمْزُ فِي أَشْيَاخِنَا الْأَعْلَامِ   دَاءٌ دَوِيٌّ يَا أُولِي الْأَفْهَامِ

لُحُومُهُمْ مَسْمُومَةٌ فَمَن وَقَعْ   فِيهِمْ أُصِيبَ بِالْهَوَانِ فَانقَمَعْ

وَإِن قَصَدْتَ مَجْلِسَ الشَّيْخِ فَلَا   تَقَدَّمَنْ عَلَى سِوَاكَ، وَابْذُلَا (٧٢٠)

حَقَّكَ فِي النَّوْبَةِ لِلْغَرِيبِ   إِذْ جَاءَ مَنْقُولًا عَنِ الْخَطِيبِ

وَفِـيهِ قَـوْلُ الْمُصْطَفَىٰ لِلثَّقَفِي ... مُؤَدِّبًا ، وَهْـوَ بِـنَا خَـيْرُ حَفِي

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا جَـنَّ الدُّجَىٰ ... وَمَا اسْتَـفَاقَ مِن ضَلَالٍ ذُو حِجَا

أَخَـا ثَـقِيفٍ إِنَّ الْأَنصَارِيَّـا ... قَدْ أَحْـرَزَ السَّبْـقَ ، أَتَىٰ مَـرْوِيَّـا

عَنِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ ابْنِ عُمَرْ ... عَلَيْهِ رِضْوَانُ الَّذِي أَوْحَىٰ السُّوَرْ

كَذَاكَ ذُو الْحَاجَـةِ ، أَوْ مَن قَدَّمَهْ ... شَيْخُكَ فَالْوَاجِـبُ أَن تُـقَدِّمَهْ

إِن لَمْ يَكُن مِن ذَٰلِكُمْ شَيْءٌ فَـلَا ... تُـؤْثِـرْ سِوَاكَ يَا فَـتَىٰ ، إِذْ نُـقِلَا

كَـرَاهَـةُ الْإِيثَارِ فِي كُلِّ عَمَلْ ... يَرْجُـو بِهِ الْمَرْءُ ثَـوَابَ اللهِ جَلّْ

وَإِنْ أَتَتْ نَـوْبَـةُ شَخْصٍ يَحْسُنُ ... شُرُوعُهُ فِي الْعَرْضِ حِـينَ يَأْذَنُ

لَهُ بِـذَاكَ الشَّيْخُ وَلْيَـبْدَأْ بِمَا ... يُشْـرَعُ فِي الْخِـطَابِ عِندَ الْعُلَمَا

مِنْ حَمْدِ رَبِّـنَا عَلَىٰ الْإِنـعَامِ ... وَالْعَطْفِ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ

عَلَىٰ الرَّسُولِ الْمُجْتَبَىٰ ، وَإِن دَعَا ... فَحَسَنٌ ، أَجْـمِلْ بِـذَٰلِكَ الدُّعَا

وَلْيُحْضِرِ الطَّالِبُ سِفْرَهُ مَعَهْ ... وَلَا يَلِـيقُ أَبَدًا أَن يَضَـعَهْ

فَـوْقَ الْبِسَاطِ وَهْوَ مَفْـتُوحٌ ، وَلَا ... يَـقْلِبُـهُ فَـذَا سُلُوكٌ حُـظِلَا

وَاسْتَأْذِنِ الشَّيْخَ وَبَـعْدَ الْإِذْنِ ... اِقْـرَأْ بِـصَـوْتٍ بَيِّنٍ وَاسْتَأْنِ

مِنْ أَجْلِ أَن يُفْهَمَ عَنكَ ، وَاجْتَنِبْ ... هَـٰذَا إِذَا الشَّيْخُ لِمَحْظُورٍ غَضِبْ

أَوْ مَـلَلٌ أَصَـابَـهُ أَوْ غَـمُّ ... أَوِ اعْتَـرَاهُ تَـعَبٌ أَوْ هَـمُّ

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الشَّيْخِ فِي نَفْسِهِ، وَمَعَ طُلَّابِهِ، وَفِي دَرْسِهِ

وَفِيهِ ثَلَاثَةُ مَطَالِبَ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الشَّيْخِ فِي نَفْسِهِ، وَبَعْضُهَا يَشْتَرِكُ مَعَهُ الطُّلَّابُ فِيهَا.

لَا رَيْبَ أَنَّ الشَّيْخَ قُدْوَةٌ لِمَنْ	يَأْخُذُ عَنْهُ فَلْيَكُنْ حِلْسَ السُّنَنْ
وَلْيَتَّقِ اللهَ عَلَى الدَّوَامِ	مُسْتَحْضِرًا رَقَابَةَ الْعَلَّامِ
فَإِنَّهُ عَلَى الْعُلُومِ مُؤْتَمَنْ	وَبِالَّذِي اسْتَرْعَاهُ رَبُّهُ فَمَنْ
إِن يَتَّصِفْ بِالزُّهْدِ، وَالْخُضُوعِ	لِلهِ، وَالْوَقَارِ، وَالْخُشُوعِ
وَبِالسَّكِينَةِ مَعَ التَّوَاضُعِ	وَالْحِلْمِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْمَطَامِعِ
وَلْيَمْتَثِلْ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ	مَالِكٌ الْمُبَجَّلُ الْهُمَامُ
فِي نُصْحِهِ الْأَسْمَىٰ إِلَىٰ الرَّشِيدِ	هَارُونَ ذِي التَّصَرُّفِ السَّدِيدِ
قَالَ لَهُ: إِذَا عَلِمْتَ فَلْتَكُنْ	مُتَّصِفاً بِالْحِلْمِ، وَالسَّمْتِ الْحَسَنْ
وَلْيُرَ يَا هَـٰذَا عَظِيمُ الْأَثَرِ	عَلَيْكَ، وَالْبُعْدُ عَنِ التَّكَبُّرِ
لِقَوْلِ خَيْرِ الْخَلْقِ: إِنَّ الْعُلَمَا	وُرَّاثُ الْأَنْبِيَاءِ حَقًّا فَاعْلَمَا
وَقَدْ مَضَىٰ فِي أَوَّلِ الْبَابَيْنِ فِي	فَضْلِ أُولِي الْعِلْمِ بِتَخْرِيجٍ يَفِي
بِالْقَصْدِ، وَهْوَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ	عُوَيْمِرٍ ذِي الزُّهْدِ وَالْإِبَاءِ

وَالاِخْتِلَافُ فِي قَبُولِهِ نُقِلْ ... وَلَيْسَ عَن مَرْتَبَةِ الْحُسْنِ يَقِلْ

وَلْيَعْلَمِ الْعَالِمُ أَنَّ الْعِلْمَ مَا ... حَصَّلَ نَفْعَهُ فَكُن مُعَظِّمَا

لَهُ ، وَلَا تُهِنْهُ بِالذَّهَابِ ... إِلَىٰ عَبِيدِ الْمَالِ وَالْأَلْقَابِ

لَا يُحْمَلُ الْعِلْمُ إِلَىٰ بَيْتِ أَحَدْ ... فَالْعِلْمُ يُؤْتَىٰ فَأْتِهِ يَا ذَا الرَّشَدْ

وَإِن يَكُ الذَّهَابُ مِن شَيْخٍ إِلَىٰ ... آخَرَ فَهْوَ سَائِغٌ ، إِذْ نُقِلَا

عَنِ ابْنِ سَلَامٍ بِأَنَّهُ رَحَلْ ... مِنْ أَجْلِ إِسْمَاعِ عَلِيٍّ ، إِذْ حَمَلْ

عَنْهُ الْغَرِيبَ ، وَعَلِيٌّ إِن ذُكِرْ ... فَهْوَ الْمَدِينِيُّ الْإِمَامُ الْمُشْتَهِرْ

كَذَٰلِكَ الثَّوْرِيُّ أَيْضًا ذَهَبَا ... إِلَىٰ ابْنِ أَدْهَمَ ، فَكَانَ أَعْجَبَا

يَقْصِدُهُ الثَّوْرِيُّ ، وَهْوَ أَعْلَمُ ... مِنْهُ ، وَبَحْرٌ حَافِظٌ مُقَدَّمُ

وَلْيَكُنِ الْعَالِمُ جِدَّ مُتَّقِ ... شُرُورَ ذِي الدُّنْيَا ، شَدِيدَ الْفَرَقِ

مِن مُغْرِيَاتِهَا وَمِنْ حَبَائِلِ ... فِتْنَتِهَا وَسِحْرِهَا الْمُخَاتِلِ

وَالْأَصْلُ فِي مَتَاعِهَا التَّقَلُّلُ ... فَإِنَّهُ فَانٍ ، فَلَا يُعَوَّلُ

عَلَيْهِ ، وَلْيَرْضَ بِمَا يَكْفِيهِ ... مِن دُونِ تَقْتِيرٍ عَلَىٰ ذَوِيهِ

لَاسِيَّمَا فِي هَٰذِهِ الْأَزْمَانِ ... بِهَا الْفَقِيرُ الدَّائِمُ الْحِرْمَانِ

يَرَىٰ بَنُوهُ مِنْ مَظَاهِرِ التَّرَفْ ... عِندَ سِوَاهُمْ مَا يُوَلِّدُ الْأَسَفْ

وَالْعَالِمُ الصَّادِقُ مَن لَمْ يَجْعَلِ ... الْعِلْمَ ضَرْبًا مِن ضُرُوبِ الْحِيَلِ

فَالْعِلْمُ لَا يُجْعَلُ سُلَّمًا إِلَىٰ ... مَالٍ وَجَاهٍ أَوْ تَقَدُّمٍ عَلَىٰ

مُنَافِسٍ، وَلَا يَلِيقُ أَن يُرَىٰ ... حَامِلُهُ يَهْوَىٰ الْجِدَالَ وَالْمِرَا

مَا أَجْدَرَ الْعَالِمَ بِالتَّجَرُّدِ ... فَإِنَّهُ عُنْوَانُ كُلِّ سُؤْدَدِ

كَمِثْلِ حَالِ الشَّافِعِيِّ ذِي الْعُلَا ... قَالَ: وَدِدتُ أَنَّ هَـٰذَا الْعِلْمَ لَا

يُعْزَىٰ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ أَبَدَا ... وَيَنفَعَ اللهُ بِهِ مَنْ أَسْعَدَا

مِنْ خَلْقِهِ، كَذَٰلِكُمْ بِالْعَمَلِ ... بِهِ، فَيَا لَلْعُلَمَاءِ الْكُمَّلِ

لَمْ يَلْهُ فِي النَّهَارِ بِالطَّعَامِ ... وَلَيْسَ فِي اللَّيْلِ مِنَ النُّوَّامِ

أَمْضَاهُمَا فِي الْعِلْمِ وَالْعِبَادَهْ ... تِلْكَ حَيَاةُ الْقُدُوَاتِ السَّادَهْ

ثُمَّ عَلَىٰ الْعَالِمِ أَن يُقِيمَا ... شَعَائِرَ الدِّينِ، وَأَن يُدِيمَا

تَعْظِيمَهَا مَدَى الْحَيَاةِ آمِرَا ... وَنَاهِيًا مُحْتَسِبًا مُثَابِرَا

يَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَلَا يُجَامِلُ ... وَعَنْ أَدَاءِ النُّصْحِ لَا يَتَثَاقَلُ

وَلْيَدَّرِعْ بِالصَّبْرِ مَا عَاشَ، وَهَلْ ... يَنفَعُ غَيْرُ الصَّبْرِ إِن شَرٌّ أَطَلْ

فَالْأَنبِيَاءُ كُلُّهُمْ قَدْ صَبَرُوا ... وَذَاكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ يُذْكَرُ

وَمِن صِفَاتِ الْعَالِمِ الْمُسَدَّدِ ... إِظْهَارُ سُنَّةِ النَّبِيِّ الْأَمْجَدِ

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ اللهُ مَا ... غَرَّدَ قُمْرِيٌّ عَلَىٰ أَيْكِ الْحِمَىٰ

كَذَاكَ مِن صِفَاتِهِ قَمْعُ الْبِدَعْ ... كَيْ يُعْبَدَ اللهُ بِمَا لَنَا شَرَعْ

٧٧٠

٧٨٠

وَالْعَالِمُ الْعَامِلُ ، بِالْعَزَائِمِ ... يَأْخُذُ نَفْسَهُ، وَبِالْمَكَارِمِ

يُلْزِمُهَا ، مُجْتَهِدًا فِي الْعَمَلِ ... بِعِلْمِهِ طِبْقَ السُّلُوكِ الْأَمْثَلِ

اَلْمُسْتَفَادِ مِنْ كِتَابِ اللهِ ... وَسِيرَةِ الْمُؤْتَمَنِ الْأَوَّاهِ

مُزَكِّيًا لِلنَّفْسِ بِالطَّاعَاتِ ... مَعَ اجْتِنَابِ سَائِرِ الْآفَاتِ

مُوَقِّرًا خَيْرَ الْوَرَى وَصَحْبَهُ ... مُطَهَّرًا مِنَ الدَّنَايَا قَلْبَهُ

مُنَقِّيًا ظَاهِرَهُ مِنْ كُلِّ مَا ... يُزْرِي بِهِ ، يَخْشَى الرَّدَى وَالْمَأْثَمَا

يُعَامِلُ النَّاسَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ ... مِثْلِ الْبَشَاشَةِ وَلِينِ الْمَنطِقِ

يَبْذُلُ جَاهَهُ مَعَ الْإِنصَافِ ... مُتَّصِفاً بِأَجْمَلِ الْأَوْصَافِ

يُفْشِي السَّلَامَ ، يُطْعِمُ الطَّعَامَا ... وَيَصِلُ الْأَرْحَامَ وَالْيَتَامَى

يُعَامِلُ الْفَقِيرَ بِالتَّلَطُّفِ ... مُجَانِبًا مَسْلَكَ أَهْلِ التَّرَفِ

فِي كَسْرِهِمْ قُلُوبَ أَهْلِ الْفَقْرِ ... إِمَّا بِالِاحْتِقَارِ أَوْ بِالْكِبْرِ

يَصِلُهُمْ مَا اسْتَطَاعَ بِالْإِنفَاقِ ... عَلَيْهِمُ يَرْجُو رِضَا الْخَلَّاقِ

وَكُلُّ قُرْبَةٍ إِلَى الرَّحْمَنِ ... يَسْعَى لِفِعْلِهَا بِكُلِّ آنِ

وَالْعُلَمَاءُ حُجَّةُ الْمَوْلَى عَلَى الْـ.......عِبَادِ إِنْ هُمْ أَخْلَصُوا لَهُ الْعَمَلْ

وَقُدْوَةٌ لِسَائِرِ الْأَنَامِ ... إِلَيْهِمُ الْمَرْجِعُ فِي الْأَحْكَامِ

فَلْيَحْذَرِ الْعَالِمُ مِنْ زَلَّاتِهِ ... وَلْيَحْفَظِ اللِّسَانَ مِنْ آفَاتِهِ

بِـزَلَّةِ الْعَالِـمِ تَشْقَىٰ أُمَـمُ ... وَيَسْـتَطِيرُ شَـرُّهَا وَيَـعْظُـمُ

فَالْعِلْمُ كُلُّ الْعِلْمِ مَا بِـهِ انـتَفَـعْ ... أَرْبَـابُـهُ وَجَنَّبَ النَّاسَ الْبِدَعْ

فَلَا يَـلِيـقُ بِذَوِي الْعِلْمِ الْبَطَـرُ ... وَالِاتِّصَافُ بِالرِّيَـاءِ وَالْوَحَـرْ (٧٠٠)

وَالِاشْتِـغَالُ بِـعُيُـوبِ الْخَلْقِ ... وَكُلُّ مَا يَخْـدِشُ وَجْـهَ الْحَـقِّ

وَلْيَحْذَرِ الْعَالِـمُ مِن دَاءِ الْهَوَىٰ ... فَمَا أَصَابَ عَالِمًا إِلَّا هَـوَىٰ

وَلْيَـنْأَ بِالنَّفْسِ عَنِ التَّـعَصُّبِ ... لِعَالِـمٍ مُعْتَبَـرٍ أَوْ مَذْهَبِ

وَلْيُـعْنَ مَا أَمْكَـنَ بِالرَّقَائِـقِ ... فَهْيَ عِلَاجُ الْقَلْبِ بِالْحَقَائِـقِ

مِنْ آيَـةٍ تُـتْلَىٰ وَنَصٍّ صَـادِقِ ... وَقِصَّةٍ تُدْمِعُ عَيْنَ الصَّادِقِ

وَلْيَـتْلُ آيَ اللهِ فِي الْأَسْحَارِ ... مَعْ حِرْصِهِ دَوْمًا عَلَىٰ الْأَذْكَارِ

بِـ«عَمَلِ الْيَـوْمِ مَعَ اللَّيْلَةِ» قَـدْ ... سُمِّيَ عِنْدَ السَّالِـفِينَ، وَاعْتَـمَدْ

ذَٰلِكَ الِاسْـمَ بَعْضُهُمْ كَذِي نَسَا ... وَبَـعْدَهُ تِلْمِيذُهُ بِـهِ ائْتَسَىٰ

وَلْيَعْـمُرِ الْأَوْقَاتَ بِالتَّصْنِيفِ فِي ... بَابٍ مُفِـيدٍ دُونَـمَا تَكَـلُّفِ

وَلْـيَكُ فِي تَصْنِيفِـهِ مُحَـقِّقَا ... وَلِلنُّـقُـولِ جَـامِـعًا مُـوَثِّـقَا (٧١٠)

مُمَحِّصًا، مُـبَيِّنًا، مُـدَقِّـقَا ... مُعْـتَرِفًا بِسَبْـقِ مَن قَـدْ سَبَـقَا

مُـعْتَنِياً بِمَا يَـعُمُّ النَّـفْعُ بِـهْ ... وَإِنْ عَرَتْهُ آفَـةٌ فَلْيَنْتَبِهْ

فَـرُبَّـمَا أُصِيبَ بِالْـغُـرُورِ ... فَاقْتَـادَهُ لِـمَـوْرِدِ الـشُّـرُورِ

وَزِينَةُ الْعَالِمِ فِي التَّوَاضُعِ ... فَالزَّهْوُ وَالْعِلْمُ ذَوَا تَدَافُعِ

★ ★ ★

وَلْيَقْفُ سُنَّةَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ ... وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي الْوَفَا

وَالتَّابِعِينَ لَهُمُ وَمَنْ تَبِعْ ... طَرِيقَهُمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ قَدْ شُرِعْ

كَابْنِ الْمُسَيَّبِ وَمَنْ قَدْ سَبَقَا ... وَمَنْ بِهِمْ فِي كُلِّ جِيلٍ لَحِقَا

كَابْنِ الْمُبَارَكِ وَسُفْيَانَيْهِمُ ... مَعَ الْبُخَارِيِّ وَحَمَّادَيْهِمُ

ثُمَّ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ ... وَمَالِكٍ وَأَحْمَدَ الشَّيْبَانِي

وَقَدْ مَضَىٰ ذِكْرُ الْإِمَامِ الشَّافِعِي ... ذِي الْعِلْمِ وَالشِّعْرِ الرَّقِيقِ الْمَاتِعِ

يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا بِهِمْ فِي جَنَّتِكْ ... وَنَجِّنَا مِنَ الرَّدَىٰ بِمِنَّتِكْ

٨٢٠



المَطْلَبُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الشَّيْخِ فِي دَرْسِهِ

وَقَبْلَ عَقْدِ الدَّرْسِ تَصْحِيحُ النِّيَهْ ... فَكَمْ لَهَا مِنْ أَثَرٍ فِي التَّزْكِيَهْ

وَلْيَتَطَهَّرْ قَبْلَ بَدْءِ الدَّرْسِ ... مَعَ التَّطَيُّبِ وَحُسْنِ اللُّبْسِ

يَفْعَلُ هَٰذَا مَالِكٌ مُوَقِّرَا ... حَدِيثَ خَيْرِ مُرْسَلٍ إِلَى الْوَرَىٰ

وَلْيَجْلِسِ الشَّيْخُ مَعَ الْوَقَارِ ... مُقْتَدِياً بِالْمُصْطَفَىٰ الْمُخْتَارِ

مُفْتَتِحاً بِحَمْدِ ذِي الْجَلَالِ ... مُقَدِّرِ الأَرْزَاقِ وَالآجَالِ

مُصَلِّيًا عَلَىٰ مَنِ اصْطَفَاهُ ... عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَاجْتَبَاهُ

وَلْيَتَرَضَّ عَنْ جَمِيعِ الآلِ ... وَصَحْبِهِ فِي سَائِرِ الأَحْوَالِ

وَكُلُّ شَيْخٍ عَالِمٍ ذِي مَنْزِلَهْ ... يَحْسُنُ عِنْدَ ذِكْرِهِ الدُّعَاءُ لَهْ

بِالْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَانِ ... فَإِنَّ ذَٰلِكُمْ مِنَ الإِحْسَانِ

وَلْيَكُ مَوْضِعُ الْجُلُوسِ بَارِزَا ... حَتَّىٰ يَكُونَ لِلْجَمِيعِ حَافِزَا

عَلَىٰ حُضُورِ الْقَلْبِ وَالتَّيَقُّظِ ... وَرَصْدِ كُلِّ نَائِمٍ أَوْ يَقِظِ

فَرُبَّمَا أَدَّىٰ اسْتِتَارُ الطَّالِبِ ... عَنْ نَظَرِ الشَّيْخِ إِلَى التَّخَاطُبِ

مَعْ غَيْرِهِ، أَوْ نَوْمِهِ، أَوْ غَفْلَتِهْ ... وَذَا حُضُورُهُ كَمِثْلِ غَيْبَتِهْ

وَلْيَبْتَسِمْ فَإِنَّ الاِبْتِسَامَا ... مِنْ هَدْيِ مَنْ قَدْ عَلَّمَ الأَنَامَا

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ ذُو الْجَلَالِ ... مَا هَبَّتِ الْأَنسَامُ فِي الْآصَالِ

وَكَثْرَةُ الْمِزَاحِ مِمَّا يُرْغِبُ ... بِالشَّيْخِ عَنْهُ ، وَالْقَلِيلُ يُطْلَبُ

مِنْهُ ، فَإِنْ زَادَ عَنِ الْحَدِّ ذَهَبْ ... بِهَيْبَةِ الشَّيْخِ فَبِئْسَ الْمُنقَلَبْ

وَلَا يَكُن مُقَطِّبًا عَبُوسَا ... فَمَن رَآهُ ظَنَّهُ مَنْحُوسَا

وَإِن يَكُ الشَّيْخُ بِحَالَةِ الْغَضَبْ ... وَالْجُوعِ وَالْهَمِّ وَشِدَّةِ التَّعَبْ (٨٤٠)

أَوْ شِدَّةِ النُّعَاسِ ، فَلْيَجْتَنِبِ ... عَقْدَ الدُّرُوسِ لِفَوَاتِ الْأَرَبِ

فَرُبَّمَا جَاءَ بِقَوْلٍ فَاسِدِ ... وَلَمْ يَكُنْ إِيرَادُهُ بِقَاصِدِ

وَالْعَالِمُ الْحَصِيفُ مَن يُوَقِّرُ ... طُلَّابَهُ الْأَنبَاهَ مِمَّن ذُكِرُوا

بِالْعِلْمِ ، وَالْفَضْلِ ، وَبِالتَّقَدُّمِ ... فِي السِّنِّ ، وَالْجَمِيعَ فَلْيَحْتَرِمِ

وَإِن يَقُمْ لِبَعْضِهِمْ تَكْرِيمَا ... فَحَسَنٌ مَا لَمْ يَكُن تَعْظِيمَا

وَالِالْتِفَاتُ مَعَ تَحْرِيكِ الْيَدِ ... يَحْسُنُ مَعْ قَصْدٍ بِهَٰذَا الْمَقْصَدِ

وَامْنَحْ جَمِيعَ الْحَاضِرِينَ حَظَّهُمْ ... مِن نَاظِرَيْكَ ، لَا تَخُصَّ بَعْضَهُمْ

وَبَعْضُهُمْ يَأْمُرُ قَبْلَ الِابْتِدَا ... بِالدَّرْسِ أَن يُقْرَأَ مِنْ آيِ الْهُدَىٰ

عِدَّةُ آيَاتٍ تَيَمُّنًا بِمَا ... أَنزَلَهُ اللهُ كِتَابًا مُحْكَمَا

وَبَعْدَ ذَا يَدْعُو دُعَاءَ الْخَاشِعِ ... بِكُلِّ لَفْظٍ مُسْتَجَادٍ جَامِعِ (٨٥٠)

وَإِن تَعَدَّدَتْ دُرُوسٌ قُدِّمَا ... أَشْرَفُهَا ، وَهُوَ اخْتِيَارُ عُلَمَا

صَوَابُهُ ، وَاعْتَادَهُ الْأَوَائِلُ   وَاخْتَارَهُ أَشْيَاخُنَا الْأَمَاثِلُ

وَلْيَحْذَرِ الْإِمْلَالَ وَالْإِخْلَالَا   فِي الدَّرْسِ ، أَيْ يَقْصِدُ الِاعْتِدَالَا

فَمَنْ أَطَالَ دَرْسَهُ أَمَلَّا   كَذَا إِذَا أَوْجَزَهُ أَخَلَّا

وَيَنْبَغِي أَن يَجْعَلَ الصَّوْتَ عَلَى   قَدْرِ احْتِيَاجِ الْحَاضِرِينَ ، ثُمَّ لَا

يَسْرُدْ كَلَامَهُ، وَبِالتَّمَهُّلِ   فَلْيُغْنَ، وَهْوَ دَأْبُ خَيْرِ الرُّسُلِ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا لَيْلٌ سَجَا   وَمَا صَبَاحٌ بِالْفَلَاحِ انْبَلَجَا

وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بَعْدَ الِانْتِهَا   مِن مَبْحَثٍ يُصْغِي لِأَرْبَابِ النُّهَى

مِنَ التَّلَامِيذِ لِكَيْ يَسْتَفْهِمُوا   عَنْ أَيِّ مُشْكِلٍ حَوَاهُ الْكَلِمُ

وَلْيَصُنِ الْمَجْلِسَ عَن قُبْحِ اللَّغَطْ   فَإِنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى الْغَلَطْ

وَلْيَضْبِطِ النِّقَاشَ وَالْجِدَالَا   وَلْيَمْنَعِ الْقِيلَ بِهِ وَالْقَالَا

وَلْيُرْشِدِ الطُّلَّابَ لِلتَّنَاصُحِ   وَالنَّبْذِ لِلشَّحْنَاءِ وَالتَّفَاضُحِ

مُحَذِّرًا مِنَ الْمِرَاءِ وَالْجَدَلْ   لِيَبْتَغُوا بِالْعِلْمِ وَجْهَ اللهِ جَلّْ

وَلْيَتَّخِذْ لَهُ نَقِيبًا فَطِنَا   مُهَذَّبًا يُعِينُهُ مَا أَمْكَنَا

يُرَتِّبُ الطُّلَّابَ فِي الدُّخُولِ   مُرَاعِيًا ذَا الْفَضْلِ وَالْقَبُولِ

يَسْتَنْصِتُ الْحُضُورَ ، وَالنِّيَامَا   يُوقِظُهُمْ وَيَقْطَعُ الْخِصَامَا

وَالْعَقْدُ لِلدُّرُوسِ فِي الْمَسَاجِدِ   يُغْنِيكَ يَا شَيْخُ عَنِ الْمُسَاعِدِ

لِمَا لَهَا مِنْ حُـرْمَـةٍ عَظِيمَهْ ... وَقِـيـمَةٍ أَعْظِمْ بِـهَا مِن قِـيمَهْ

وَلْيُحْسِنِ الْإِنصَاتَ لِلسُّؤَالِ ... مِن أَجْـلِ أَنْ يَـفْـهَمَهُ فِي الْحَالِ

(٨٧٠) وَإِن يَكُـن لَا يَعْـلَـمُ الْجَوَابَـا ... وَقَـالَ: لَا أَدْرِي فَـقَـدْ أَجَـابَـا

وَ«جُـنَّـةُ الْعَالِـمِ لَا أَدْرِي إِذَا ... أَغْفَلَهَا» عَنْ مَالِكٍ هَـٰذَا خُـذَا

وَبِـ «أُصِيبَتْ» بَعْدَهَا «مَقَاتِلُهْ» ... يَـتِمُّ هَـٰذَا الْقَوْلُ . طَابَ قَائِلُهْ

وَقَدْ أَتَى عَن بَـعْضِ أَهْلِ الْفَهْمِ ... مَن قَالَ: «لَاأَدْرِي» فَنِصْفُ الْعِلْمِ

لِذَا يَـقُولُ شَيْـخُنَا «عَدُّودُ» ... مَنْ هُوَ فِي أَعْلَامِنَا مَعْدُودُ

قُبَيْلَ أَن يَشْرَعَ فِي الْجَـوَابِ ... مُـرَبِّـيًا نَـوَابِـغَ الطُّـلَّابِ

الْعِلْمُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنِي يُـقْسَمُ ... حُسْنُ السُّؤَالِ يَا بَنِيَّ مِنكُمُ

نِصْفٌ ، وَنِصْفُـهُ لَدَيَّ وَهْوَ أَنْ ... أَقُولَ: «لَا أَدْرِي» رُزِقْـتُمُ الرَّكَنْ

وَلْيَتَوَدَّدْ لِلْغَرِيـبِ إِنْ حَضَرْ ... وَلَا يُضَايِـقْهُ بِكَـثْرَةِ النَّظَرْ

إِلَيْـهِ ، فَالْقَادِمُ مِن بَـعِيدِ ... يَحْـتَـاجُ لِلرِّفْـقِ وَلِلتَّسْدِيـدِ

(٨٨٠) وَإِنَّ لِلْقَادِمِ دَهْشَةً تُـرَى ... تُـمَاطُ لَا رَيْبَ بِإِحْسَانِ الْقِرَى

«وَاللهُ أَعْلَـمُ» خِتَامٌ يُذْكَرُ ... فِي آخِـرِ الدَّرْسِ ، بِـهِ يُذَكَّرُ

جَمِيعُ مَنْ جَاؤُوا إِلَى الدَّرْسِ بِمَا ... عَلَيْـهِمُ الْمَوْلَى تَـعَالَى أَنْـعَمَا

مِن طَلَبِ الْعِلْمِ كَمَا قَدْ أَكْـرَمَا ... بِذَاكَ مِن قَـبْلُ أَبَـانَا آدَمَا

يَمْنَحُهُ مَن شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ فَلْنَسْأَلِ الْمَزِيدَ مِنْ إِسْعَادِهِ

وَرُبَّمَا كَانَ الْخِتَامُ بِالدُّعَا مُصَلِّيًا عَلَىٰ أَجَلِّ مَن دَعَا

صلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا نَجْمٌ هَوَىٰ وَآبَ مِن بَعْدِ الْفِرَاقِ ذُو الْجَوَىٰ

وَإِن دَعَا الشَّيْخُ بِمَا قَدْ ثَبَتَا مُكَفِّرًا عَن لَغْوِهِ فَقَدْ أَتَىٰ

بِسُنَّةٍ تَكَادُ أَن تَغِيبَ عَنْ مَجَالِسِ التَّدْرِيسِ فِي هَـٰذَا الزَّمَنْ

وَفِي مُكُوثِ الشَّيْخِ بَعْدَ الدَّرْسِ فِي مَكَانِهِ نَفْعٌ كَبِيرٌ فَاعْرِفِ

مِثْلُ سُؤَالِ الشَّيْخِ عَنْ أَحْوَالِ مِنِ اخْتِصَاصِ صَاحِبِ السُّؤَالِ

أَوْ عَنْ أُمُورٍ جَمَّةٍ لَا تَتَّصِلْ بِالدَّرْسِ كَالسُّؤَالِ عَنْ أَمْرٍ مُخِلْ

أَوِ اسْتِشَارَةٍ ، أَوِ اجْتِنَابِ تَزَاحُمٍ عَلَيْهِ عِندَ الْبَابِ

٨٩٠



الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الشَّيْخِ مَعَ طُلَّابِهِ فِي سَائِرِ الأَحْوَالِ

وَمِنْ أَهَمِّ هَذِهِ الآدَابِ ... إِخْلَاصُهُ لِلْوَاحِدِ الْوَهَّابِ

فِي نَشْرِهِ الْعِلْمَ ، وَإِظْهَارِ الْهُدَى ... وَطَمْسِهِ الْجَهْلَ ، وَكَبْتِهِ الْعِدَا

وَالْعَالِمُ الْحَاذِقُ مَن يُرَغِّبُ ... طُلَّابَهُ فِي الْعِلْمِ ، إِذْ يَحْتَسِبُ

تَعْلِيمَهُمْ لِلَّهِ جَلَّ ، يَعْتَنِي ... بِكُلِّ طَالِبٍ نَبِيهٍ زَكِنِ

وَمَا لِنَفْسِهِ يُحِبُّ فَلْيُحِبُّ ... لَهُمْ ، وَيُعْنَى دَائِماً بِالْمُغْتَرِبْ

يُوصِي الْجَمِيعَ ، يَبْذُلُ الإِحْسَانَا ... لَهُمْ ، وَيُحْيِي فِيهِمُ الإِيمَانَا

يُثْنِي عَلَى الْمُحْسِنِ ، وَالْمُسِيئَا ... يُرْشِدُهُ مِنْ أَجْلِ أَن يَفِيئَا

لِلرُّشْدِ ، دُونَ الْعُنفِ وَالتَّعَسُّفِ ... وَإِنَّمَا بِالرِّفْقِ وَالتَّلَطُّفِ

وَلْيَجْتَهِدْ فِي بَسْطِهِ الْعِبَارَةْ ... دُونَ اكْتِفَاءٍ مِنْهُ بِالإِشَارَةْ

مُصَوِّرًا دَقَائِقَ الْمَسَائِلِ ... مُسْتَرْشِداً بِأَقْرَبِ الدَّلَائِلِ

وَلْيُعْنَ بِالتَّمْثِيلِ وَالتَّعْلِيلِ ... مُسْتَشْهِداً بِثَابِتِ الدَّلِيلِ

وَعِندَ ذِكْرِ الاخْتِلَافِ يُورِدُ ... أَقْوَالَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيمَا يَقْصِدُ

مَعَ الثَّنَاءِ الْجَمِّ وَالتَّرَحُّمِ ... عَلَيْهِمُ فَهُمْ هُدَاةُ الأُمَمِ

وَلْيُحْسِنِ الظَّنَّ بِهِمْ مُعْتَذِرَا ... عَمَّا لَهُمْ مِن خَطَإٍ قَدْ ظَهَرَا

يُؤْخَذُ مِن كُلِّ إِمَامٍ وَيُرَدُّ ... إِلَّا الَّذِي عَنْهُ الدَّلِيلُ قَدْ وَرَدْ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ كُلَّ آنِ ... مَا غَنَّتِ الْأَطْيَارُ فِي الْأَغْصَانِ

وَإِنْ أَرَادَ الشَّيْخُ أَن يَخْتَبِرَا ... طُلَّابَهُ فَحَسَنٌ كَيْ يَخْبُرَا

مَن فَهِمَ الدَّرْسَ وَمَن لَمْ يَفْهَمِ ... كَذَا أَتَىٰ فِي طُرُقِ التَّعَلُّمِ (٤١٠)

وَلْيَأْمُرِ الطُّلَّابَ بِالْإِعَادَهْ ... فَإِنَّهَا مِن سُبُلِ الْإِفَادَهْ

تُثَبِّتُ الدَّرْسَ لَدَىٰ الطُّلَّابِ ... وَتُورِثُ الْقُدْرَةَ فِي الْخِطَابِ

وَلْيَأْخُذِ الْجَمِيعَ بِالتَّدَرُّجِ ... فِي كُلِّ عِلْمٍ فَهْوَ خَيْرُ مَنْهَجِ

مُقَدِّمًا ذِكْرَ الْأَهَمِّ فَالْأَهَمّْ ... وَلْيَمْنَعِ اسْتِكْثَارَهُمْ خَوْفَ السَّأَمْ

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ عَوَائِقِ الطَّلَبْ ... مَزِيدُ تَفْصِيلٍ، سَمَوْتَ بِالْأَدَبْ

وَإِن رَأَىٰ تَضَجُّرًا أَوْ مَلَلَا ... مِنْ أَحَدٍ أَوْصَاهُ أَن يُقَلِّلَا

مِن بَذْلِهِ الْجَهْدَ وَأَن يُرَوِّحَا ... عَن نَفْسِهِ بِمَا يُزِيلُ التَّرَحَا

وَلَا يُفَضِّلْ أَحَدًا عَلَىٰ أَحَدْ ... عِندَ التَّسَاوِي فَهْوَ أَمْرٌ يُنْتَقَدْ

وَلَا يُمَيِّزْ أَحَدًا إِلَّا بِمَا ... أُوتِيَ مِنْ عِلْمٍ وَفَضْلٍ عُلِمَا

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعَالِمَ الْأَرِيبَا ... مَن كَانَ مِن طُلَّابِهِ قَرِيبَا (٤٢٠)

مُرَاقِبًا أَحْوَالَهُمْ مِثْلَ الْأَبِ ... وَكَالطَّبِيبِ الْحَاذِقِ الْمُجَرِّبِ

يَزْجُرُهُمْ عَن صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ ... مُرَغِّبًا فِي صُحْبَةِ الْأَخْيَارِ

يَدعُوهُمُ لِأَحسَنِ الأَخلَاقِ	عِندَ تَلَاقِيهِمْ وَالِافتِرَاقِ
يَسعَىٰ لَهُمْ فِي سَائِرِ المَصَالِحِ	فَهوَ لَهُمْ مَا عَاشَ خَيرُ نَاصِحِ
يُعِينُهُمْ دَوْمًا عَلَى النَّوَائِبِ	مُذَلِّلًا لِأَكثَرِ المَصَاعِبِ
يَسأَلُ عَن غَائِبِهِمْ مَا سَبَبُ	غِيَابِهِ : هَلْ سَفَرٌ أَوْ وَصَبُ
أَوْ غَيرُ هَذَيْنِ مِنَ الأَسبَابِ	وَالمَرْءُ عُرْضَةٌ لِكُلِّ عَابِ
فَإِن يَكُن مُسَافِرًا تَفَقَّدَا	أُسْرَتَهُ ، أَكرِمْ بِهَذَا سُؤْدَدَا
أَوْ عَادَهُ إِن كَانَ مُدْنَفًا ، وَمَنْ	بِهِ فُتُورٌ رَدَّهُ إِلَى السَّنَنْ
لِذَلِكُمْ كَانَ أَبُو الإِفَادَهْ	أَقوَىٰ وَأَسْمَىٰ مِنْ أَبِي الوِلَادَهْ
كَذَلِكَ الأُبُوَّةُ الدِّينِيَّهْ	أَقوَىٰ مِنَ الأُبُوَّةِ الطِّينِيَّهْ



الفَصْلُ الرَّابِعُ

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي أَن يُعنَىٰ بِهِ طَالِبُ الحَدِيثِ وَالمُحَدِّثُ، وَذِكْرِ أَهَمِّ تَصَانِيفِ الحَدِيثِ وَعُلُومِهِ، وَبَيَانِ أَهَمِّ الآدَابِ مَعَ كُتُبِ العِلْمِ عَامَّةً، وَذِكْرِ أَشْهَرِ قَوَاعِدِ الضَّبْطِ وَالتَّدْوِينِ

وَفِيهِ مَطْلَبَانِ:

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: فِي ذِكْرِ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي أَن يُعنَىٰ بِهِ طَالِبُ الحَدِيثِ والمُحَدِّثُ.

مَا مَرَّ مِن مَحَاسِنِ الآدَابِ ... يَشْمَلُ قَطْعًا سَائِرَ الطُّلَّابِ

وَمِنْهُمُ طُلَّابُ عِلْمِ الأَثَرِ ... فَكَمْ لَهُمْ فِي نَشْرِهِ مِنْ أَثَرِ

وَثَمَّ آدَابٌ بِهَا يَنفَرِدُ ... أَرْبَابُهُ، بِهَا النُّفُوسُ تَسْعَدُ

أَكْثَرُهَا -اعْلَمْ- لَمْ يَعُدْ مَوْجُودَا ... فِي جِيلِنَا هَٰذَا، وَلَن يَعُودَا

قَطْعًا، لِأَنَّ زَمَنَ الرِّوَايَهْ ... قَدِ انقَضَىٰ فَلْتَحْسُنِ الدِّرَايَهْ

بِتِلْكُمُ المُصَنَّفَاتِ الزَّاخِرَهْ ... وَمَا حَوَتْهُ مِنْ عُلُومٍ زَاهِرَهْ

فَبِالصَّحِيحَيْنِ ابْدَأَنْ، وَقَدِّمِ ... سِفْرَ البُخَارِيِّ فَسِفْرَ مُسْلِمِ

وَثَنِّ مِنْ بَعْدِهِمَا بِالسُّنَنِ ... مُبْتَدِئًا بِالتِّرْمِذِيِّ المُتْقِنِ

لِأَنَّهُ يَحْوِي الخِلَافَ العَالِي ... وَمَا عَلَيْهِ مَعْقِدُ الأَعْمَالِ

مُبَيِّنًا مَرَاتِبَ الحَدِيثِ ... لِأَنَّ ذَاكَ مَقْصِدُ التَّحْدِيثِ

كَذَا الإِشَارَةُ إِلَىٰ الشَّوَاهِدِ ... وَغَيْرِهَا مِنْ دُرَرِ الفَرَائِدِ

وَفِيهِ مِن نَقْدِ الرِّجَالِ دُرَرُ ... وَمِنْ عُلُومٍ كَاللآلِي تَزْهَرُ

وَمَن يَكُن فِي بَيْتِهِ يَنْتَفِعُ ... بِمَا حَوَاهُ فَهْوَ بَدْرٌ يَسْطَعُ

كَأَنَّمَا فِيهِ نَبِيٌّ يَخْطُبُ ... وَهْوَ وَلَا غَرْوَ كِتَابٌ عَجَبُ

وَجَامِعٌ مِنْ أَعْظَمِ الجَوَامِعِ ... بِهِ مِنَ المَنْقُولِ كُلُّ نَافِعِ

وَاعْنَ بِشَأْنِ السُّنَنِ الرُّوَاءِ ... أَيْ : لِأَبِي دَاوُدَ فَالنَّسَائِي

خِتَامُهَا سِفْرُ فَتَى قَزْوِينِ ... وَهَٰذِهِ السِّتَّةُ حِصْنُ الدِّينِ

وَبَعْدَ ذَا يَحْسُنُ بِالطَّالِبِ أَنْ ... يُعْنَى بِسِفْرِ مَالِكٍ نَجْمِ السُّنَنْ

أَعْنِي المُوَطَّأَ وَمَا قَدْ أَوْدَعَهْ ... مِن دُرَرِ الفِقْهِ الحِسَانِ المُمْتِعَهْ (٥٥٠)

وَمِن صَحِيحِ ابْنِ خُزَيْمَةَ اسْتَفِدْ ... لَٰكِنَّ ذَا الكِتَابَ جُلُّهُ فُقِدْ

وَبِالصَّحِيحِ لِابْنِ حِبَّانَ اعْتَنِ ... وَالفَارِسِيُّ كَمْ بِشَأْنِهِ عُنِي

رَتَّبَهُ فِي سِفْرِهِ «الإِحْسَانِ» ... أَحْسَنَ فِيهِ غَايَةَ الإِحْسَانِ

وَالسُّنَنِ الكُبْرَى مَعَ المُسْتَدْرَكِ ... كَمْ بِهِمَا مِنْ غَامِضٍ لَمْ يُدْرَكِ

وَمِن كُنُوزٍ بِهِمَا قَدْ غُمِرَتْ ... وَبِالأَسَانِيدِ الطِّوَالِ احْتَجَبَتْ

إِبْرَازُهَا يَتِمُّ بِالتَّحْقِيقِ ... فَهَلْ لِذَا التَّحْقِيقِ مِن فَرِيقِ

مِمَّن لَهُمْ دِرَايَةٌ بِالعِلَلِ ... وَطُرُقِ الأَدَاءِ وَالتَّحَمُّلِ

وَبِالمَسَانِيدِ اشْتَغِلْ كَمُسْنَدِ ... إِمَامِ أَهْلِ السُّنَّةِ المُمَجَّدِ

وَبِالْمُصَنَّفَيْنِ لِلصَّنْعَانِي *** وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ ذِي الإِتْقَانِ

وَمُسْنَدِ الْبَزَّارِ ، وَالْمَعَاجِمِ *** لِلطَّبَرَانِيْ ، وَسِفْرِ الدَّارِمِي (٤٦٠)

وَاخْتَفِ بِالأَفْرَادِ ، وَالْوُحْدَانِ *** وَكُتُبِ التَّخْرِيجِ ، وَالْبُلْدَانِ

كَذَاكَ بِالأَجْزَاءِ ، وَالأَطْرَافِ *** وَكُتُبِ الزَّوَائِدِ الظِّرَافِ

وَكُتُبِ الْمُشْكِلِ ، وَالإِعْرَابِ *** وَالنَّسْخِ ، وَالْغَرِيبِ ، وَالأَسْبَابِ

وَكُتُبِ الْمُصْطَلَحِ الْمُحَرَّرَهْ *** وَكُتُبِ التَّرَاجِمِ الْمُعْتَبَرَهْ

وَاحْفَلْ إِذَا رُمْتَ ازْدِيَاداً بِالْعِلَلْ *** وَهْوَ عَسِيرٌ دُونَهُ وَخْزُ الأَسَلْ

وَأَكْثِرِ التَّفْتِيشَ فِي الشُّرُوحِ *** كَالْفَتْحِ كَمْ بِهِ مِنَ الْفُتُوحِ

وَاعْنَ بِالاِسْتِذْكَارِ وَالتَّمْهِيدِ *** كَمْ بِهِمَا مِنْ مَبْحَثٍ فَرِيدِ

وَغَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الأَسْفَارِ *** يُخْطِئُهَا الْعَدُّ مَدَى الأَعْصَارِ

وَفِي كَلَامِ الْقَوْمِ دَقِّقِ النَّظَرْ *** مُتَّبِعاً بُنَيَّ أَرْبَابَ الأَثَرْ

دُونَ تَعَصُّبٍ وَلَا تَجَاهُلِ *** لِأَحَدٍ ، كَلَّا وَلَا تَحَامُلِ (٤٧٠)



الْمَطْلَبُ الثَّانِي

فِي بَيَانِ أَهَمِّ الآدَابِ مَعَ كُتُبِ الْعِلْمِ عَامَّةً، وَذِكْرِ أَشْهَرِ قَوَاعِدِ الضَّبْطِ وَالتَّدْوِينِ.

وَآلَةُ الْعِلْمِ الْكِتَابُ فَاحْتَفِ ... بِهِ لِتَرْقَى فِي سَمَاءِ الشَّرَفِ

خَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ يُتْحِفُ ... قَارِئَهُ بِكُلِّ مَا يُسْتَظْرَفُ

نِعْمَ الأَنِيسُ لَا تَرَى مِنْهُ الدَّخَلْ ... خَيْرُ قَرِينٍ وَنَزِيلٍ إِنْ حَفَلْ

بِكُلِّ مَا يُفَصِّلُ الأَحْكَامَا ... وَيَشْرَحُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَا

أَوْ كَانَ فِي بَيَانِ عِلْمٍ نَافِعِ ... مِنْ آلَةٍ، وَكُلِّ أَمْرٍ مَاتِعِ

وَكَمْ كِتَابٍ بِالضَّلَالِ يَطْفَحُ ... وَبِالسُّمُومِ وَالرَّزَايَا يَنْضَحُ

فَلْيَكُنِ اقْتِنَاؤُكَ الْكِتَابَا ... وَسِيلَةً تُحَقِّقُ الرِّغَابَا

لَا أَنْ تَرَاهُ فِي الرُّفُوفِ مُدْبِرَا ... وَلَمْ تَكُنْ حَقَّ اسْمِهِ مُسْتَحْضِرَا

وَاضْبِطْهُ بِالْعَرْضِ عَلَى الشُّيُوخِ ... مَنْ عُرِفُوا بِالْفَهْمِ وَالرُّسُوخِ

ثُمَّ عَلَى الأُصُولِ بِالْمُقَابَلَهْ ... تُصَحِّحُ النُّصُوصَ لِلْمُمَاثَلَهْ

بِهِ أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ وَثَّقُوا ... أَسْفَارَهُمْ وَكُلَّ حَرْفٍ دَقَّقُوا

وَكُلَّ أَمْرٍ يَا فَتَى ذِي بَالِ ... فَابْدَأْ بِـ«بِسْمِ اللهِ» ذِي الْجَلَالِ

مُثَنِّيًا بِحَمْدِهِ مُصَلِّيَا ... مُسَلِّمًا عَلَى خِتَامِ الأَنْبِيَا

صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَيْهِ اللهُ مَا ... غَرَّدَتِ الأَطْيَارُ فِي جَوِّ السَّمَا

٨٧٠

وَفِي الْحَوَاشِي دُونِ التَّعْلِيقَا ... وَالْخَطُّ حَسَنٌ، لَا يَكُن دَقِيقَا

وَالضَّبطُ بِالشَّكْلِ طَرِيقُ الأَكْثَرِ ... وَيَكْثُرُ التَّصْحِيفُ فِيهِ، فَاحْذَرِ

فَنَاسِخُ الْكُتْبِ الْجَهُولُ مَاسِخُ ... إِذْ لَمْ يَكُن لَدَيْهِ عِلْمٌ رَاسِخُ

وَالضَّبْطُ بِالْحَرْفِ هُوَ الْمُخْتَارُ ... طَبَّقَهُ أَئِمَّةٌ كِبَارُ

بِهِ اجْتِنَابُ وَصمَةِ التَّصْحِيفِ ... وَالْبُعْدُ عَنْ مَسَالِكِ التَّحْرِيفِ

وَأَوْلَى الأَشْيَاءِ بِضَبطٍ مُحْكَمِ ... أَسْمَاءُ أَعْلَامِ الأَنَاسِيِّ اعْلَمِ

إِذْ تَرْكُهَا مِن دُونِ ضَبْطٍ حُظِلَا ... وَقَالَ عَنْهَا الْمُرْتَضَى مُعَلِّلَا

لَا دَخْلَ لِلْقِيَاسِ فِيهَا لَا، وَلَا ... يَدُلُّ شَيْءٌ قَبْلُ أَوْ بَعْدُ عَلَى

أَلْفَاظِهَا ؛ لِذَاكَ فَالْمُسْتَنَدُ ... فِي ضَبْطِهَا هُوَ الْكَلَامُ الْمُسْنَدُ

وَهَاكَ مِن أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ ... مَا صُغْتُهُ فِي سِلْكِ هَذَا النَّظْمِ

إِعْجَامُكَ الْكِتَابَ نَوْرُهُ، وَعَنْ ... نَابِغَةِ الأَوْزَاعِ يُرْوَى، وَهْوَ مَنْ

وَقِيلَ: يَمْنَعُ مِنِ اسْتِعْجَامِهِ ... أَيْ مِن خَفَائِهِ أَوِ اسْتِبْهَامِهِ

وَشَكْلُهُ يَمْنَعُ مِنْ إِشْكَالِهِ ... وَكُلُّ ذَا يُؤْخَذُ عَن رِجَالِهِ

كَذَاكَ قَالُوا: «إِنَّمَا يُشْكَلُ مَا ... يُشْكِلُ» وَهْوَ مَسْلَكٌ قَدْ عُلِمَا

وَالْحَاءُ لِلشَّكِّ، وَلِلتَّحْوِيلِ ... عِنْدَ أُولِي التَّحْدِيثِ فَافْهَمْ قِيلِي

وَ(صَحْ) لِلتَّصْحِيحِ أَمَّا حَرْفُ (لَا) ... فَلِلزِّيَادَاتِ، بَلَغْتَ الأَمَلَا

وَإِنْ حُرُوفٌ سَقَطَتْ أَوْ أَسْطُرُ تُلْحَقْ ، وَفِي حَاشِيَةٍ تُسَطَّرُ
مِن جِهَةِ الْيَمِينِ وَهْيَ اللَّحَقُ تَسْمِيَةً بِنَصِّ الْأَصْلِ يُلْحَقُ
وَمَيِّزَنْ بِحُمْرَةٍ مَا يَحْسُنُ تَمْيِيزُهُ، فَهْوَ صَنِيعٌ حَسَنُ
مِن ذَلِكَ الْأَبْوَابُ وَالتَّرَاجِمُ كَذَلِكَ الْأَعْلَامُ وَالْمَعَالِمُ
ثُمَّ لُغَاتُ الْقَوْمِ وَالْأَسْمَاءُ وَمِثْلُهَا الْأَقْوَالُ وَالْآرَاءُ
وَنَحْوُهَا الْأَبْوَابُ وَالْفُصُولُ كَذَلِكَ الْأَعْدَادُ ، وَالْمَنْقُولُ
مِن نَصِّ آيَةٍ وَمِنْ حَدِيثٍ أَوْ شَوَاهِدٍ مِمَّا الرُّوَاةُ قَدْ رَوَوْا
وَكَبْرِ الْخَطَّ إِذَا تَعَذَّرَا لَوْنٌ وَذَا فِي الْكُتْبِ قَدْ تَقَرَّرَا
وَقَدْ خَلَتْ فِي زَمَنِ الرِّوَايَهْ وَزَمَنِ التَّحْدِيثِ وَالدِّرَايَهْ
آدَابُ تَدْوِينٍ طَوَاهَا الزَّمَنُ وَبَعْضُهَا فِي عَصْرِنَا لَا يُمْكِنُ
بَعْدَ اخْتِرَاعِ آلَةِ الطِّبَاعَهْ وَغَيْرِهَا مِنْ أَضْرُبِ الصِّنَاعَهْ
قَدْ جَاءَ فِي «أَلْفِيَّةِ الْعِرَاقِي» تَفْصِيلُهَا فِي أَحْسَنِ السِّيَاقِ
وَفِي شُرُوحِهَا مِنَ التَّفْصِيلِ مَا فِيهِ إِيضَاحٌ مَعَ التَّمْثِيلِ

★ ★ ★

وَإِن بَلَغْتَ فِي الْقِرَاءَةِ أَوِ الْـ...... عَرْضِ عَلَى الشَّيْخِ إِلَى فَصْلٍ فُصِلْ
عَن سَابِقٍ ، أَوْ مَبْحَثٍ مِنْهُ فَرَغْ مُصَنِّفٌ ، فَاكْتُبْ إِزَاءَهُ «بَلَغْ»

أَوْ «بَلَغَ الْعَرْضُ» وَبَعْضٌ يَذْكُرُ ... مِن بَعْدِهِ اسْمَهُ ، وَهَـٰذَا يَنْدُرُ

وَدُمْ عَلَىٰ تَعْظِيمِ ذِي الْجَلَالِ ... نُطْقًا وَخَطًّا سَائِرَ الْأَحْوَالِ

مِثْلُ «تَعَالَىٰ» وَ«تَبَارَكَ اسْمُهُ» ... وَ«جَلَّ شَأْنُهُ» وَ«عَزَّ حُكْمُهُ»

وَاحْذَرْ مِنَ الرَّمْزِ بِحَرْفِ الصَّادِ ... إِذَا تَلَفَّظْتَ بِذِكْرِ الْهَادِي

فَالرَّمْزُ يَا بُنَيَّ مِن سُوءِ الْأَدَبْ ... مَعَ الَّذِي تَوْقِيرُهُ حَتْمًا وَجَبْ

١٠٢٠

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا تَالٍ تَلَا ... وَمَا تَسَامَىٰ ذِكْرُهُ بَيْنَ الْمَلَا

ثُمَّ عَنِ الصَّحْبِ تَرَضَّ إِن يَرِدْ ... ذِكْرٌ لَهُمْ مِن دُونِ رَمْزٍ ، وَابْتَعِدْ

عَنْ رَمْزِ «رَضِ» رَضَّ رَبِّي عُنُقَا ... مَنْ سَبَّهُمْ أَلَا فَسُحْقًا سُحْقَا

ثُمَّ عَلَىٰ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ ... فَلْتَتَرَحَّمْ يَا أَخَا الْإِسْلَامِ

وَاحْرِصْ عَلَىٰ تَارِيخِ مَا كَتَبْتَا ... فَهْوَ مِنَ التَّوْثِيقِ لَوْ فَطِنْتَا

وَبِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ فَاخْتِمِ ... عَلَىٰ النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ الْأَعْظَمِ

وَاعْتَادَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْخِتَامِ ... إِتْيَانَهُمْ بِـ «تَمَّ» لِلْإِتْمَامِ

وَبِالْإِجَازَاتِ احْتَفِلْ وَبَادِرِ ... بِأَخْذِهَا عَنْ كُلِّ شَيْخٍ مَاهِرِ

مِنْ أَجْلِ أَن تُوصَلَ فِي إِسْنَادِ ... أَسْفَارِ أَهْلِ الْحِفْظِ وَالْإِسْنَادِ

لِلْكُتْبِ أَنْسَابٌ كَأَنْسَابِ الْبَشَرْ ... هِيَ الْأَسَانِيدُ ، حَكَاهُ ابْنُ حَجَرْ

١٠٣٠

فِي أَوَّلِ «الْفَتْحِ» وَفِي الْمُقَدِّمَهْ ... عَن بَعْضِ أَهْلِ الْفَضْلِ حَيْثُ أَبْهَمَهْ

وَلَا تُمِزْ أيَّ كِتَابٍ نَادِرِ	إلَّا لِخِلٍّ ذِي وَفَاءٍ ظَاهِرِ
وَلْيَكُنِ الْكِتَابُ فِي صِيَانَهْ	مُنَزَّهًا عَن طُرُقِ الْإِهَانَهْ
وَلَا تَضَعْ نَظَّارَةً أَوْ قَلَمَا	فَوْقَ كِتَابِ رَبِّنَا، وَعَظِّمَا
وَمِثْلُهُ كُلُّ كِتَابٍ اشْتَمَلْ	عَلَى نُصُوصٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ جَلّْ
أَوْ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِ الْأَنَامِ	مِن كُلِّ مَا صَحَّ عَنِ الْأَعْلَامِ
وَإِنَّ بَلَّ صَفَحَاتِ الْمُصْحَفِ	بِالرِّيقِ لِلتَّفْتِيشِ جِدُّ مُؤْسِفِ
لِأَنَّهُ مِنْ أَسْوَءِ الْآدَابِ مَعْ	كَلَامِ مَنْ أَنزَلَهُ لِيُتَّبَعْ
لَوْ بَلَّ شَخْصٌ يَا بُنَيَّ إِصْبَعَا	بِرِيقِهِ ثُمَّ أَمَرَّ الْإِصْبَعَا
عَلَى لِبَاسِ وَاحِدٍ مِنَّا ، فَهَلْ	يَقْبَلُ ذَا كَلَّا، فَرُبَّمَا تَفِلْ
عَلَيْهِ ، أَوْ مَدَّ يَدًا لِيَصْفَعَا	جَبِينَهُ، أَوْ عَضَّ تِلْكَ الْإِصْبَعَا

★ ★ ★

وَرَتِّبِ الْأَسْفَارَ بِاعْتِبَارِ	أَشْرَفِهَا ، فَاجْعَلْ كِتَابَ الْبَارِي
أَعْلَى الْجَمِيعِ، وَاجْعَلِ التَّفْسِيرَا	أَسْفَلَهُ ، أَكْرِمْ بِذَا تَقْدِيرَا
لِوَحْيِ ذِي النِّعْمَةِ وَالْإِحْسَانِ	الْمُسْتَعَانِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
وَهَكَذَا الْأَشْرَفُ فَالْأَشْرَفُ فِي	تَرْتِيبِكَ الْعُلُومَ فَادْأَبْ وَاحْتَفِ



الْفَصْلُ الْخَامِسُ

فِي ذِكْرِ أَشْهَرِ عَوَائِقِ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهَا

وَإِن شَرَعْتَ يَا فَتَى فِي الطَّلَبِ ... مُسْتَبْصِراً بِالْمَنْهَجِ الْمُنتَخَبِ

ثُمَّ تَحَلَّيْتَ بِحُسْنِ الأَدَبِ ... مُمْتَثِلاً فِي رَغَبٍ وَرَهَبِ

فَاحْذَرْ مِنَ الْعَوَائِقِ الْكَثِيرَهْ ... لَاسِيَّمَا فِي الأَعْصُرِ الأَخِيرَهْ

وَهِيَ قِسْمَانِ: فَقِسْمٌ قَدْ ذُكِرْ ... فِي كُتُبِ الْعِلْمِ الَّتِي لَا تَنْحَصِرْ

ثَانِيهِمَا: عَوَائِقُ الزَّمَانِ ... وَهْيَ الَّتِي تَحْدُثُ كُلَّ آنِ

١٠٥

وَالْبَدْأُ أَوَّلاً بِمَا قَدْ وَرَدَا ... فِي كُتُبِ الْعِلْمِ هُدِيتَ لِلْهُدَى

مُقْتَصِرًا عَلَى أَهَمِّ مَا ذُكِرْ ... فِي تِلْكُمُ الْكُتْبِ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

أَسْوَأُهَا بُنَيَّ تَرْكُكَ الْعَمَلْ ... بِمَا عَلِمْتَ، وَهْوَ أَكْبَرُ الْخَلَلْ

وَمِثْلُهُ قَصْدُكَ غَيْرَ اللهِ ... بِهِ، وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَنَاهِي

حَذَارِ أَن تَطْلُبَهُ لِمَنصِبِ ... وَغَيْرِهِ مِنْ غَرَضٍ وَمَأْرَبِ

بَعْدَهُمَا الأَخْذُ عَنِ الصِّغَارِ ... فِي الْعِلْمِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْكِبَارِ

كَذَاكَ نَبْذُ الْمَنْهَجِ الأَصِيلِ ... فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِلَا دَلِيلِ

كَعَدَمِ الأَخْذِ عَنِ الأَعْلَامِ ... وَالْخَوْضِ فِي أَسْفَارِهِ الْعِظَامِ

مِن دُونِمَا تَدَرُّجٍ، وَلَا بَصَرْ ... بِآلَةٍ تُعِينُهُ عَلَى النَّظَرْ

فِيمَا حَوَتْهُ هَـٰذِهِ الأَسْفَارُ مِنَ الْغَوَامِضِ الَّتِي يَحَارُ

فِيهَا الْحِجَى ، ثُمَّ مِنَ النَّوَازِلِ تَصَدُّرُ الْجُهَّالِ فِي الْمَحَافِلِ

كَذَا التَّهَافُتُ عَلَىٰ التَّصْنِيفِ وَجُلُّهُ ضَرْبٌ مِنَ التَّزْيِيفِ

كَمَا مَضَىٰ بُنَيَّ فِي التَّقْدِيمِ فَلْتَنْأَ عَنْ ذَا الْمَسْلَكِ الْعَقِيمِ

وَبَعْضُهُمْ لِجَهْلِهِ قَدْ جَعَلَهْ طَرِيقَ تَحْصِيلٍ وَذَا مِنَ الْبَلَهْ

تَؤُزُّهُ دَوَافِعُ الْغُرُورِ وَعِشْقُهُ مَطِيَّةَ الظُّهُورِ

حُبُّ الظُّهُورِ يَقْصِمُ الظُّهُورَا بِهِ تَصِيرُ جَاهِلًا مَغْرُورَا

وَتَفْقِدُ الإِخْلَاصَ وَالتَّجَرُّدَا وَتَأْلَفُ الْغُلُوَّ وَالتَّمَرُّدَا

كَذَاكَ يَا بُنَيَّ «لَا تَكُنْ أَبَا شِبْرٍ» فَذَاكَ فِي طَرِيقِهِ كَبَا

وَ«لَا تَكُنْ أَبَا اعْرِفُونِي» وَاحْذَرِ مَصَائِدَ الشِّرْكِ الْخَفِيِّ الأَخْطَرِ

وَنَفْسَكَ اصْرِفْهَا عَنِ التَّعَلُّقِ بِالْحَظِّ ، فَهْوَ مَسْلَكُ التَّفَيْهُقِ

إِيَّاكَ وَالْعُجْبَ بِمَا قَدْ أَكْرَمَكْ بِهِ الْكَرِيمُ ، فَهْوَ إِنْ شَا سَلَبَكْ

فَالْعُجْبُ دَاءٌ يَهْدِمُ الْمَحَاسِنَا وَيُورِثُ الصُّدُودَ وَالضَّغَائِنَا

وَحَسْبُنَا زَجْرًا عَنِ الإِعْجَابِ قَوْلُ عَلِيٍّ « ... آفَةُ الأَلْبَابِ»

فَمَنْ يَكُنْ بِالْكِبْرِ قَدْ تَدَثَّرَا وَبِالْغُرُورِ يَا بُنَيَّ ائْتَزَرَا

وَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ ، فَكَبِّرِ عَلَيْهِ أَرْبَعًا ، وَبِالْمُقْتَدِرِ

سُبْحَانَهُ لُذْ رَاغِبًا ، وَسَلْهُ أَنْ — تَسْلَمَ مِن شَرِّ الرَّزَايَا وَالْمِحَنْ

فَهَذِهِ الْخِلَالُ لِلْحِرْمَانِ — جَالِبَةٌ ، أَعْظِمْ بِذَا الْخُسْرَانِ

وَبَعْضُهُمْ تَرَاهُ فِي تَنَقُّلِ — بَيْنَ الشُّيُوخِ ، وَهْوَ لَمْ يُحَصِّلِ

مِنْ عِلْمِهِمْ شَيْئًا ، وَكَالْمُنبَتِّ — أَصْبَحَ ، مَعْ تَضْيِيعِهِ لِلْوَقْتِ

وَبَعْضُهُمْ يَشْرَعُ فِي فُنُونِ — كَثِيرَةٍ تُفْضِي إِلَى الْفُتُونِ

بِالِانْقِطَاعِ عَنْ حَيَاةِ الْعِلْمِ — وَهَلْ كَمِثْلِ الْعِلْمِ يَا ذَا الْفَهْمِ

فَالْعِلْمُ لَا يُؤْخَذُ جُمْلَةً وَلَا — يَسْطِيعُ ذَاكَ بَشَرٌ فَلْتَعْقِلَا

وَمَن يَجِئْ إِلَى دُرُوسٍ تُعْقَدُ — فِي أَعْوَصِ الْعُلُومِ وَهْوَ يَفْقِدُ

أَدْنَى الْمُقَدِّمَاتِ فِي الْعُلُومِ — يَغْرَقْ بِشَطِّ لُجِّهَا الطَّمُومِ

وَهْيَ الَّتِي تُعْرَفُ يَا ذَا بِالْأُسُسْ — فِي ثَالِثِ الْفُصُولِ جَاءَتْ يَا نَدُسْ

مَن يَطْلُبُ الْعِلْمَ بِلَا تَدَرُّجِ — كَمَن يَرُومُ السَّطْحَ دُونَ الدَّرَجِ

فَـ{كُلُّ عِلْمٍ غَامِضٍ رَفِيعِ — فَإِنَّهُ بِالْمَوْضِعِ الْمَنِيعِ

لَا يُرْتَقَى إِلَيْهِ إِلَّا عَن دَرَجْ — مِن دُونِهِ بَحْرٌ طَمُومٌ وَلُجَجْ

وَلَا يَنَالُ ذُرْوَةَ الْغَايَاتِ — إِلَّا عَلِيمٌ بِالْمُقَدِّمَاتِ}

فَلْتَذَرِ التَّسْوِيفَ وَالْأَمَانِي — وَلْتَطَّرِحْ حِبَالَةَ التَّوَانِي

لَا يَقْتَرِبْ مِنكَ نُزُولُ الْهِمَّهْ — إِن كُنتَ عَاشِقًا صُعُودَ الْقِمَّهْ

وَاجْتَنِبِ الْوُقُوعَ فِي الْعِصْيَانِ	فَإِنَّهُ مَجْلَبَةُ النُّسْيَانِ
أَمَّا عَوَائِقُ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ	فَإِنَّهَا وَاللهِ فِي تَكَاثُرِ
بَلْ هِيَ كَالطُّوفَانِ فِي اكْتِسَاحِهِ	وَقَاصِفِ الرِّيحِ لَدَىٰ اجْتِيَاحِهِ
قَدْ أَجْلَبَتْ وَسَائِلُ الإِعْلَامِ	بِكُلِّ صَائِلٍ عَلَىٰ الأَحْلَامِ
تَفَنَّنَتْ فِي الْمُغْرِيَاتِ الصَّارِفَهْ	وَالْمُلْهِيَاتِ الْفَاتِنَاتِ الزَّائِفَهْ
مِن قَنَوَاتٍ تَكْشِفُ الْمَسْتُورَا	وَتُبْرِزُ الْمُحْتَقَرَ الْمَغْمُورَا
وَتَجْعَلُ الْفَدْمَ الْجَهُولَ عَالِمَا	وَتُبْصِرُ الظُّلْمَ بِهَا وَالظَّالِمَا
نَاهِيكَ عَن شَبَكَةِ الْعَنَاكِبِ	وَ مَا بِهَا مِنْ أَغْرَبِ الْغَرَائِبِ
فَإِنَّهَا عَلَى اسْمِهَا فَلْتَحْذَرِ	مِنْ خَوْضِ بَحْرِهَا الْعَمِيقِ الأَخْطَرِ
فَكَمْ بِهَا مِن نَافِعٍ وَهَابِطِ	وَكَمْ بِهَا مِن صَائِبٍ وَخَابِطِ
وَمِنْ عَوَائِقِ الزَّمَانِ الصُّحُفُ	كَذَا الْمَجَلَّاتُ ، وَمَا يُكْتَشَفُ
مِن طُرُقِ الإِلْهَاءِ وَالصَّوَارِفِ	عَن نَافِعِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ
وَلَسْتُ مُنكِراً بِأَنَّ أَكْثَرَا	هَـٰذِي الْوَسَائِلِ مُفِيدٌ لِلْوَرَىٰ
إِن سُخِّرَتْ لِخِدْمَةِ الإِسْلَامِ	كَمَا أَتَىٰ عَن سَيِّدِ الأَنَامِ
صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَعْ سَلَامِهِ	فِي مَبْدَإِ الْقَوْلِ وَفِي خِتَامِهِ
لَا سِيَّمَا مَيْدَانُ تِلْكَ الشَّبَكَهْ	إِذِ اقْتِحَامُهُ جُزَافًا مَهْلَكَهْ

فُـرْسَانُـهُ الدُّعَاةُ فَلْيُشَمِّرُوا ... فِي نَشْرِ هَـٰذَا الدِّينِ وَلْيُحَذِّرُوا

مِن كَيْدِ كُلِّ كَائِـدٍ حَقُودِ ... وَشَرِّ كُلِّ خَـائِـنٍ حَسُودِ

وَلْيَدْحَضُوا مَا نَسَجُوا مِن بَاطِلِ ... وَشُبَـهٍ تُذَاعُ فِي الْمَحَافِلِ

وَطَالِبُ الْعِلْمِ إِذَا مَا شَرَعَا ... فِي مَنْهَجٍ لَابُدَّ أَن يَنْقَطِعَا

عَن كُلِّ صَارِفٍ مِنَ الصَّوَارِفِ ... وَكَمْ لِـهَـٰذَا النَّهْجِ مِن مُخَالِفِ



خَاتِمَةٌ

وَهَكَذَا أَتْمَمْتُ «عُدَّةَ الطَّلَبْ	بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالْأَدَبْ»
فَاشْتَمَلَتْ عَلَى أَهَمِّ الْأُسُسِ	لِذَلِكَ الْمَنْهَجِ عِندَ الْمُؤْتَسِي
بِمَنْ مَضَوا مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّهْ	الرَّاسِخِينَ السَّادَةِ الْأَئِمَّهْ
ثُمَّ تَتَبَّعْتُ الشُّرُوطَ الْمُكْمِلَهْ	لِذَلِكَ الْمَنْهَجِ عِندَ الْكَمَلَهْ
وَقَدْ ذَكَرْتُ مِنْ عَوَائِقِ الطَّلَبْ	مَا فِيهِ تَبْصِيرٌ لِأَرْبَابِ الْأَرَبْ
كَذَلِكُمْ حَفَّتْ بِكَ الْآدَابُ	كَأَنَّهَا الْكَوَاعِبُ الْأَتْرَابُ
دِثَارُهَا أُرْجُوزَةٌ مُحَبَّرَهْ	بِمَا حَوَتْ مِن دُرَرٍ مُنتَثِرَهْ
وَمَهْرُهَا أَن تَتَحَلَّى يَا فَتَى	بِهَا عَلَى الْفَوْرِ وَلَا تَسْأَلْ مَتَى
فَخُذْهَا بُنَيَّ بِالْعِبَادَهْ	فَإِنَّهَا الطَّرِيقُ لِلسَّعَادَهْ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي أُخْرَانَا	بِذَلِكُمْ يَا قَوْمُ مَا أَخْرَانَا
كَمَا يَقُولُ الشَّيْخُ ذُو الْمَعَالِي	مُحَمَّدٌ مَن نَعْتُهُ بِـ«عَالِ»
{الْعِلْمُ مِن دُونِ الْعِبَادَةِ هَبَا	لَا يَسْتَقِرُّ فَحَرٍ أَن يَذْهَبَا
وَالْعِلْمُ فِي التَّمْثِيلِ مِثْلُ الشَّجَرَهْ	أَمَّا الْعِبَادَةُ فَمِثْلُ الثَّمَرَهْ
فَفَضْلُهُ مِن جِهَةٍ، وَفَضْلُهَا	مِن جِهَةٍ: ثَمَرَةٌ وَأَصْلُهَا}
أَبْيَاتُهَا تَمَّتْ بِمَا اقْتَبَسْتُهُ	مِنْ نُخَبِ النَّظْمِ الَّذِي جَمَعْتُهُ

ذُخْـرًا لِكُلِّ طَالِبٍ فَازَّيَّنَتْ ... أُرْجُوزَتِي بِحُسْنِهِ وَاكْتَمَلَتْ

جَعَلْتُهُ يَا صَاحِبِي اخْتِرَارَا ... مُقْتَفِيًا أَشْيَاخَنَا الْأَخْيَارَا

فِي أَرْضِ شِنْقِيطَ بِـلَادِ الْعِلْمِ ... وَمَهْيَعِ الْحِفْظِ وَحِصْنِ الْفَهْمِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْإِتْمَامِ ... مُبْتَهِلًا إِلَيْهِ فِي الْخِتَامِ

أَنْ يَـهَبَ اللَّهُ لَهَا الْقَبُولَا ... فَلَمْ يَـزَلْ سُبْحَانَهُ الْمَأْمُولَا

يَا رَبُّ ، يَا سَمِيعُ ، يَا بَصِيرُ ... يَا مَنْ إِلَيْهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ

يَا حَيُّ ، يَا قَيُّومُ ، يَا كَرِيمُ ... يَا بَرُّ ، يَا عَلِيُّ ، يَا عَظِيمُ

إِلَيْكَ مِنْ حَوْلِي الضَّعِيفِ أَبْرَأُ ... وَكُلَّ مَنْ عَادَاكَ رَبِّي أَشْنَأُ

يَا رَبُّ وَفِّقْنِي إِلَى الرَّشَادِ ... وَمُدَّنِي بِالْعَوْنِ وَالْإِسْعَادِ

أَصْلِحْ سَرِيرَتِي ، وَأَخْلِصْ نِيَّتِي ... لِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي

يَا رَبُّ أَعْطِنِي وَلَا تَحْرِمْنِي ... رَبَّاهُ أَكْرِمْنِي وَلَا تُهِنِّي

وَافْتَحْ لِقَلْبِيَ الْبَلِيدِ وَأَزِلْ ... عَنْهُ غِشَاءَ الْجَهْلِ وَالْعَجْزَ الْمُذِلْ

وَاغْفِرْ لِمَنْ حَقَّهُمَا قَرَنْتَا ... بِحَقِّكَ الْأَعْظَمِ إِذْ قَضَيْتَا

ذَلِكَ فِي الْإِسْرَاءِ: ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ ... وَالْأَقْرَبِينَ كُلَّهُمْ تَكَرُّمًا

وَاغْفِرْ لِأَشْيَاخِي وَمَنْ أَحَبَّنِي ... فِيكَ وَمَنْ أَحْبَبْتُهُ، وَأَحْسِنِ

إِلَى الْجَمِيعِ وَاهْدِنَا إِلَى الْهُدَى ... وَادْفَعْ عَنِ الْأُمَّةِ أَسْبَابَ الرَّدَى

أعِـزَّهَا بِـدِيـنِكَ الْقَوِيـمِ وَأَعْلِهَا بِنَصْرِكَ الْعَظِيـمِ

رَبَّاهُ وَفِّـقْنَا إِلَىٰ اقْـتِفَاءِ مَنْ حَـفِظْتَ دِينَكَ بِـهِمْ يَا ذَا الْمِنَنْ

مِن سَلَفِ الأُمَّةِ مِمَّنِ اصْطُفُوا لِنَشْرِ دِيـنِكَ فَـنِعْـمَ الشَّرَفُ

وَأَظْـهِرَنْ لِلنَّاسِ مَن يُـجَدِّدُ دَعْوتَـهُمْ حَتَّىٰ يَـعُودَ الرَّشَدُ

وَتَسْعَـدَ الأُمَّـةُ بِاتِّـبَاعِ مِنْهَاجِـهِمْ فِي سَائِرِ الأَصْقَاعِ

وَصَلِّ يَا رَبِّي عَلَىٰ الْمُخْتَارِ وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ الأَبْـرَارِ

كان الفراغ من نظم هـذه الأُرْجُوزة وتبييض مسوّدتها قبيل غروب شمس يوم الثلاثاء الثاني عشر من شهر صفر الخير من عام ١٤٢٦ هـ ، وبعد طبعتها الأولىٰ لعام ١٤٢٩ هـ وفي أثناء مراجعتها من أجل إعدادها للطبعة الثانية زدت عليها زيادات آمل من الله تعالىٰ أن تكون نافعة لطلاب العلم، وفي المقدمة الدراسية بيان لهـذه الزيادات .

وكان الفراغ من مراجعتها المراجعة الأخيرة بعد عشاء يوم السبت الموافق لليلة العاشر من شهر الله المحرم، من عام ١٤٣١ من هجرة المصطفىٰ ﷺ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ

مَسْرَدُ الْعَنَاوِيـنِ